أبحاث وأعلام

عبد الله كنون

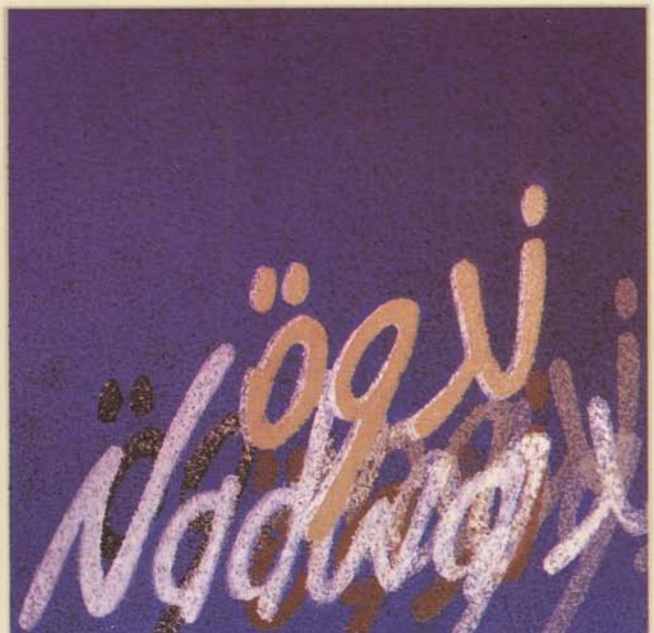

ندوات تشرف عليها وتصدرها: فاطمة الجامعي الحبابي

بيت آل محمد عزيز الحبابي
ص.ب 25 تمارة ـ المغرب
الهاتف: Tél.: (07) 74.12.56

بيت آل محمد عزيز الحبابي
ص.ب 25 تمارة ـ المغرب
الهاتف: Tél.: (07) 74.12.56
Résidence Famille Mohammed Aziz LAHBABI
B.P. 25 Temara - Maroc

سلسلة ندوة تمارة

تحت إشراف

فاطمة الجامعي لحبابي

عبد الله كَنون

رقم الإيداع القانوني : 620 / 1991

مطبعة فضالة ـ المحمدية (المغرب)

جلالة المغفور له محمد الخامس يستقبل العلامة عبد الله كنون

فضيلة الفقيه كنون في حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله
وبرفقتهما ذ. الجليل أحمد بن سودة

الحمد لله   والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

نخب جنابنا الشريف، العلامة الكبير، الفقيه الجليل المجتهد، والشاعر الأديب المجدد، الشيخ الأستاذ عبد الله كنون، رئيس رابطة علماء المغرب

أمنك الله ورعاك، وحفظك وبارك خطاك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته،

وبعد، فتقديراً منا لعلمك الغزير، وإخلاصك الكبير، ووفائك المنقطع النظير، ولمواقفك الوطنية الفذة التي تجلت في كثير من المناسبات، ولجهادك وكفاحك على عدد من الواجهات

ورعيا لعطاءاتك العلمية المتعددة، وإسهاماتك الفكرية والأدبية المتجددة، الأمر الذي رشحك، بحق، لحمل لقب أستاذ الأجيال بدون منازع، وجعل اسمك وعطاءك العلمي يتجاوز حدود بلدك، ويبوؤك العضوية البارزة في عدد من النوادي الفكرية والمجامع العلمية الرفيعة في كثير من البلاد العربية والإسلامية.

وعرفاناً منا لما أسهمت به من إسهامات قيمة متميزة في الدروس الحسنية التي ألقيتها بين يدينا في شهور رمضان المباركة والتي كنت تختار لها من المواضيع ما يحض على التدبر والتأمل، وما يرتفع بعقل المسلم ووجدانه إلى أعلى المقامات،

واعتباراً لوفائك لنا ولوالدنا، رضوان الله عليه، وللعرش العلوي، ذلك الوفاء الذي ورثته عن بيتك العلمي العظيم، وأسرتك الكريمة التي ارتبط فيها آباؤك وأجدادك ارتباطاً وثيقاً بأجدادنا، حتى بعد هجرتكم إلى طنجة عقب إعلان الحماية، واستقراركم بها،

***) نص الرسالة الملكية التي وجهها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الى الفقيه عبد الله كنون قبل بضعة أيام من وفاته بمناسبة إنعام جلالته عليه بوسام الإستحقاق الثقافي، يوم ثالث يوليوز 1989 . تلاها السيد أحمد بنسودة مستشار صاحب الجلالة ببيت الفقيد، قبيل انطلاق موكب الجنازة.**

إذ تابعتم جهادكم بنشركم للعلم والدين، والوطنية، والموعظة الحسنة، إلى أن كلل الله مساعينا بالنجاح . وما يزال موقفك ماثلاً في ذهننا ونحن في مطلع الشباب، يوم خرجت لاستقبال والدنا المنعم جلالة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، أثناء زيارته التاريخية المشهودة لطنجة في أبريل سنة 1947، فوصلتم ماضي الوفاء بحاضره، وطريف الولاء بتليده،

وعرفاناً منا بكل هذه الفضائل، والأعمال الجلائل، قررنا الانعام عليك بوسام الكفاءة الفكرية . ونحن على يقين من انك ستحمله بجدارة واستحقاق .

فهنيئاً لك به، وأقر الله عينك بما يحمله إليك من حب ملكك وعطفه ورضاه، ومن تقدير أبناء وطنك من أقصاه إلى أقصاه .

وكم كان بودنا أن نقلدك إياه بنفسنا، لولا ما بلغنا من توعك طارئ على صحتك، عجل الله بشفائك، وحقق فيه كامل رجائك . فآثرنا إرسال وفد من العلماء لينوبوا عنا في هذه الوقفة الجليلة والمهمة النبيلة .

حفظك الله وصانك وبارك فيك، وكثر للمغرب من أمثالك، وأسبغ بفضله عليك نعمة الصحة والعافية، وجزاك خيراً بكل ما أعطيته لدينك، وقومك، ووطنك، وللأمة العربية والاسلامية جمعاء .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الاثنين 29 ذي القعدة 1409 الموافق لـ 3 يوليوز 1989م .

ذ. كنون يلقي درسا دينيا

مقدمة

يقاس ثقل الأمم بمدى عمق جذورها التراثية وبمدى تفاعل تلك الجذور مع الـواقع الحضاري المعيش مـن أجل التكيف والمعـاصرة، دون أن يكون ذلك على حسـاب هويتها المتميزة. فمـن لا تراث له لا يستطيع التكيـف مع المصير التاريخـي، ولا تكون لديه مناعة للحفاظ على الذات من الإنجراف مع التيارات الحضارية العارمة.

إن المعاصرة المتفاعلة والمنسجمة تقوم على معطيات الماضي وما يحويه من إمكـانات التكيـف مع مـا توفره الظـروف الراهنـة من وسـائل التقدم والرفه للخطـو بقدم راسخة نحو المستقبل. وليـس معنى ذلك أن للماضي قدسية مطلقة وأن معطياته كلها إيجابيات. فالعناصر الجامدة التي تفتقد القـابلية على الاستثمار في الحاضر ولا تسـاعد على بنـاء المستقبل تنعـدم طبيعيا، ولا تترك بصمات.

ليس التراث هو المبـاني والعوائد والأعراف والتآليـف والمنجزات العلمية فحسب، بل هو كذلك القوم الذيـن ساهموا ويسهمون في صنع التاريخ القومي. فالتراث المغربي، مثلا، بقدر ما هو جـامع القرويين وصومعة حسان والكتبية والمدرسة البـوعنانية... بقـدر ما هو كذلـك المولى إدريس، وابن تـاشفين وابن خلدون ومحمـد الخـامس ومحمـد بن عبـد الكريـم الخطابي ومحمـد بلعربي

العلوي... فهؤلاء هم كذلك معـالم الماضي المتحرك على الدوام توقـا الى تحقيق المستقبل. إن رقي الشعوب يكمن في تكامل وتلاحم منجزات الأجيال في تعاقبها، وتراكم تجارب رجالاتها وتفاعلها ماضيا وحاضرا.

* * *

لقد ارتأى بعض الواعين من مثقفينا أن من الإجحاف أن يبخس الأحياء من تلك المعالم حقهم فيما يستحقون من التكـريم، ويكتفى في تبجيلهم بعد موتهم بما جرت به العادة من حفلات تأبين.

هكذا لم يتردد الأستـاذ محمد عزيز الحبـابي عندما كـان رئيسا لاتحاد كتاب المغرب في أخذ مبادرة تكريم رجالات مغربية أحياء، تلك المبادرة التي جاءت تكذيبا للقولة الشهيرة: «المعاصرة حجاب»، والتزاما بتقدير العاملين من المصلحين والمبـدعين الذين يجسـدون نماذج تاريخية حيـة يقتدى بها، فأكدت بأن الاعتراف بالفضل لذويه فضيلة حضارية.

لقد كان لـدار الفكر، مقر اتحاد الكتاب، شرف تكريم صـاحبي الفضيلة المرحومين سيـدي عبد اللـه كنون وسيـدي علال الفـاسي سنة 1968. لكن وياللأسـف مر ما يربـو على عشر سنوات لم يشهد المغرب خـلالها، حسب علمنـا أي تكريـم آخـر. وتشـاء الظروف أن يكـون «لنـدوة تمارة» شرف استئناف هـذه السنة الحسنـة وحظ افتتـاح حلقاتها التكـريمية لثلـة من رجالات العلم والأدب والفن والسياسة، مغاربة وأجانب، بجلسة احتفائية حول فقيدنا العزيز سيدي عبد الله كنون في يناير 1979.

بعد ذلـك عمت الظاهـرة فشهد عقـد الثمانين سلسلة تكريمات اقـامتها بعض الجامعات والمؤسسات والهيآت الثقافية احتفاءا بشخصيات مغربية فذة لها مشاركة طليعية في مختلف ميادين الثقافة والفكر والخلق العلمي. ويكرم من جديد فقيدنا العزيز سيدي عبد الله كنون بطنجة، نوفمبر 1986، التي احتفت به نجما مضيئا قبل أن تقيـم حفل تأبينه في مايو 1989. ومن

ذا الذي يستحق أن يتبارى القوم في تكريمه، حاضرا وغائبا، إن لم يكن ذلك العالم الفذ والأديب الشهم الذي أوقف حياته على خدمة دينه ووطنه. لكن أجلّ تكريم حظي به فقيدنا العزيز هو إنعام صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله، عليه بوسام الكفاءة الفكرية، يوم 3 يوليوز 1989.

نعم، في صمت خاشع ونكران ذات يعتكف النبلاء، ممن أوتوا الحكمة والفضل على خدمة أوطانهم والحفاظ على مكتسبات أممهم والإسهام في إغناء تراثها اسهاما يثري الفكر الإنساني ويدفع بعجلة الحضارة خطوات إلى الأمام. أليست الحضارة صنيعة مجموع الطاقات الخلاقة، على مدى الأجيال والحقب التاريخية، وعلى اختلاف الشعوب والأمم وتنوع الأصقاع وتنائي القارات التي كانت وماتزال مهدا للحضارة؟

***

عرفت أستاذي المرحوم سيدي عبد الله كنون شخصية نادرة المثال، جنديا مناضلا من أجل الحفاظ على الإسلام والثقافة العربية وازدهارهما. فككل المهتمين بالتراث المغربي، كانت أولى صلتي به عن طريق مؤلفه الهام «النبوغ المغربي في الأدب العربي»، وعبر مؤلفات أخرى له، كنت أتابع صدورها وأحرص على الاستفادة منها.

توثقت تلك الصلة لما تعرفت على الرجل مباشرة حينما قدمني إليه أستاذي محمد عزيز الحبابي في القاهرة بمناسبة انعقاد دورة مجمع اللغة العربية سنة 1969. من خلال هذا اللقاء بدت لي في ملامح الرجل وفي ابتسامته الهادئة خصال المؤمن المطمئن والعالم المبرز: سمو النفس وعلو الهمة وغيرة على القيم الإسلامية، واعتزاز بالتراث المغربي، والتزام بالأمانة التي طوق بها عنقه في مختلف مجالات العلم وفروع الثقافة العربية الإسلامية. سنحت لي نفس الفرصة بأن أتعرف على حرمه المصون السيدة أمينة أخت العلامة المرحوم محمد ابن تاويت الطنجي، فوجدت فيها

الأستاذ كنون صحبة حرمه المصون

الانسانة الوديعة الأبية النفس الوقور، وسعدنا بالمصاحبة طيلة أسبوعين.

منذ ذلك الحين أخذ أستاذي الفاضل كنون يسأل عني الأستاذ الحبابي ويستفسره عما إذا كنت سأصاحبه إلى القاهرة في دورة المجمع حتى يأخذ معه حرمه لنأتنس معا.

وبالفعل كانت فريدة ومفيدة تلك الفرص. كنا أنا والأخت العزيزة أمينة نرافق الخالدين في رحلاتهم التي كان ينظمها المجمع إلى بعض المدن والمنشآت. وعلى متن الحافلة التي تنقلنا نتبادل الحديث أحيانا، وننصت

في إحدى رحلات المجمعيين

ذ. كنون بين فاطمة ومحمد عزيز الحبابي، أمام الأهرام.

أحيانا أخرى إلى أحاديث المجمعيين، وأنتهز الفرصة لأستفسر أستاذي سيدي عبد الله كنون وشيخ النحاة عباس حسن، والأساتذة بهجة الأثري، وأمين شوقي... عن قضية لغوية استصعبتها في تراكيب أبى العلاء المعري، إذ كنت إذذاك أهيىء دراسة حول لغة **رسالة الغفران**، فيتدخل الشيخ عبد السلام هارون أحيانا والأستاذ سبح أحيانا أخرى، وتصبح لغة **الغفران** هما مشتركا يثير نقاشا علميا جادا. وأبادر أنا بتسجيل كل الملاحظات والشروح.

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طنجة في [illegible] ابريل 1972

محل الابنة العزيزة الأستاذة العالمة الأديبة حرم الأستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي سلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد تسلمت بمزيد الشكر هديتك الكريمة :

(نسمة حب) مترجمة في (بحث) من شعر وجمال وأدب
(من صلة 2 العرب مثلا) غني من جاد بالإحسان (أحب)
(إن شعر لهما متألق) من قبل ذلك إسلام ويقين

ونصلك في غربة الأسلوب على إشارات العز وبحث رموزه، لأن شرحهما بالمزيد من الإبداع، لكن الفلسفة شرط كما يقولون، ومن يدري فقد يكون جزاء العلا، وإن ما جد منه فعلك لا تستغني منه الكلام الا أنه لابد على منواله؟ وإذا فعلا تشجيع في هذا الإبداع، ألا لم يكن إليك فضل زوجك العظيم. وإذ يد ما بعد ربك كتب الشعر " السلام " الأشد أطيب الخيرات، متمنيا لك كل نجاح في دراستك، ومؤكدا شكري وودي وتقديري

والسلام

كـان تقديـر هؤلاء الأسـاتذة لـدراستي للغـة **الغفران** وقضائي الساعات الطوال بين المخطوطات اللغوية والنحوية بمكتبة المجمع كبيرا. كما كان تشجيع الأساتذ عبد الله كنـون لـ«محل ابنته» فاطمة محرضا لها على الصبر أمام الصعوبات التـي يطرحها أسلوب **الغفران**. كما جاء في إحدى رسائله لها (1).

من طائرف تـلك الرسالة الكريمة إتحافها بثلاثة أبـيات شعريةمـن صنف أبيات المعاني، جادت بها قـريحة شاعرنا تعبيرا عن التقديـر والمكانة التي تحتلها لديـه الطالبة حرم صديقـه العزيز. وقد لمحـت الكلمات الموضوعة بين قوسين الى «الجامعي» و«الحبـابي»، أما تركيب الحروف التـي تتصدر أول كلمـة من كـل بيت: (ت)، (م)، (ر) فيعطـي كلمة «تمر» وذاك تـذكير بهدية بسيطـة من تمر الجزائر «الدجلة» تَشرفـتُ ببعثها للأسرة الكـريمة بطنجة. فجـاء ثواب الهدية أبيـاتا شعـرية تخلد في التراث المغـربي إحدى النوادر الشعرية لفقيدنا العزيز عبد الله كنون.

※ ※ ※

(1) الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طنجة في فاتح ماي 1972

محل الابنة العزيـزة الأستاذة فاطمة الجامعـي حرم الأستاذ الدكتـور محمد عزيز الحبـابي، سلام عليكم ورحمة الله. وبعد فقد تلقيت بمزيد الشكر هديتك الكريمة:

(تـ)حفة من تحفة قد (جمعت) بـيـن لـطـف وجمـــال وأدب

(مـ)ـا حلا في العين شيء مثلها غير من جاد بهـا فـهـو (أحـب)

(ر)مـز الشعـر لهـا فانتظمـت مـــن مبانـيـه أســام ولقـــب

ولعلـك في غمرة الأنكبـاب على إشارات المعـري وفك رمـوزه، لا ترحبين بـالمزيد مـن الألغاز، لكـن المنـاسبة شرط كما يقـولون، ومـن يـدري فقد يكـون جو أبي العــلاء، وانـدماجـك فيه، جعلـك لا تستصيفين من الكلام إلا ما كان على منواله.

فأنا أجعلـه شفيعهفي هذا الاحماض، انْ لم يكن اليك فـالى زوجك العظيم.وأزيد فـاهديكما كتيبي الصغير «إسلام رائد» الـذي ظهر اخيرا، متمنيـا لك كـل نجاح في دراستـك، ومؤكـدا لكم صـادق ودي ونقديـري والسلام.

عبد الله كنون

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طنجة ٢٠ جمادى ربيع ل عام 1397

حضرة الأخ الكريم الأستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي

تحية وسلاما عاطرين

بلغتني بكل سرور رسالتكم الأخوية التي أعربتم فيها عن شعوركم النبيل إزاء أخيكم المعتز بمودتكم لمرض الذي منعني من حضور مؤتمر المجمع جزاكم الله عن الأخوة أحسن الجزاء. وأنا الآن والحمد لله بخير بعد مرض ثلاثة أشهر أمضيتها بالمستشفى حيث أجريت لي عمليتان تألمت بسببهما كثيرا علما بأنكم الله. ومع أسفي لفوات فرصة لقائكم بالمجمع والاستفادة من ذلك التجمع العلمي العربي الكبير، فإني شعرت بارتياح كبير لما لمسته من عطف إخواني بالمجمع ومواساتهم لي في حالة شكاتي.

تحياتي وسلامي ومودتي واحترامي لمحل ابنتي الأسرة بالكلمة الجامعة زوجتكم المصون التي أتتبع بإعجاب خطوات دراستها وشكري لكم مرة أخرى وتحياتي الخالصة وإخلاصي الدائم والسلام

كان شوقنا لدورات المجمع كبيرا لأنها تسمح لنا بتجديد اللقاء مع أستاذي الفاضل سيدي عبد الله كَنون حيث فرصة اللقاء به عزيزة، ونحن نقيم آنذاك (ما بين 1969 ـ1974) في الجزائر العاصمة. وكان تغيب الأستاذ عبد الله كنون عن دورة مجمع اللغة العربية سنة 1973 بعث قلقنا، فكتبنا له مستفسرين عن صحته، فرد شاكرا لي ولصديقه م. ع. الحبابي «العبقري» كما كان يلقبه، وأبلغنا ما أصابه من توعك إثر عملية جراحية أجريت له (2)

(2) الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله – طنجة في فاتح ربيع الأول عام 1394

حضرة الأخ الكريم الأستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي

تحية وسلاما عاطرين

تلقيت بكل سرور رسالتكم الأخوية التي أعربتم فيها عن شعوركم النبيل إزاء أخيكم المعتز بمودتكم لمرضه الذي منعني من حضور مؤتمر المجمع. جزاكم الله عن الاعتناء أحسن الجزاء. وأني الآن والحمد لله بخير بعد مرض ثلاثة أشهر أحدها بالمستشفى حيث أجريت لي عمليتان تألمت بسببها كثيرا عافاكم الله. ومع أسفي لفوات فرصة لقائكم بالمجمع والاستفادة من ذلك التجمع العلمي العربي الكبير، فإني شعرت بارتياح كبير لما لمسته من عطف إخواني بالمجمع ومواساتهم لي في حالة شكايتي.

تحياتي ومشاعر ودي واحترامي لمحل ابنتي السيدة فاطمة الجامعي زوجكم المصون التي أتتبع بإعجاب خطوات دراستها، وشكري لكم معا وتحياتي الطيبة وإخلاصي الدائم، والسلام.

عبد الله كنون

مـع نخبة من المجمعيين وموظفى المجمع. يتوسط الصورة العلامة بهجة الأثري.

وتمر السنوات وتتجدد اللقاءات،وبتجددها يـزداد تقديري لعلم الرجل وموسوعيته وتـواضعه وسلوكه. وتسنح الفرصـة لأن أحضر حدثا ألمس فيه كرم فقيدنا وأنفته وتعاليه عن حب التظاهر والفخفخة.

ذات يوم في القـاهرة، جـرى بينه وبين الأستاذ الحبـابي حديـث حول تكـريم الأستـاذ الفاضـل الدكتـور إبـراهيم مـدكور، رئيـس مجمع اللغـة العربيـة، بمناسبـة عيد ميـلاده السبعين. فاقترح الأستـاذ الحبابي إهـداء المكـرم سيفا فضيـاً مـن صنع المغـرب قيـاسـا على العادة المعمـول بها في الأكاديمية الفـرنسية، ولعل ذلك لما يرمـز إليه السيف من معـاني سامية. فاستحســن الفقيد العزيز الفكـرة، وأصر على أن يتحمل وحده كـل النفقات التي يستلـزمها صنـع السيف. وقـد كلفه ذلـك من السهـر والوصـاية على جودة المادة وإتقـان الصنعة ما جعل الهديـة تأتي في أحسن حلـة. ويكون مـن حظي أن أحضر الحفـل التكـريمي الـذي أقـامـه سعادة سفير المملكـة المغربيـة بالقـاهرة آنذاك، سيـدي عبد اللطيـف العراقي، احتفـاءا بالـرئيس إبراهيم مـدكور. ولما حلت ساعـة تقديم الهدية لصـاحبها هب الجميع وقـوفاً فتوارى الأستاذ عبد الله كنون تواضعاً تاركاً لزملاء آخرين القيام بذلك.

ويعجبـك في الرجـل أيضـا جمعه بين وقـار العلـم وخفـة الروح. تشـاء الظروف أن أكـون والأستاذ الحبابي في ضيافـة جمعية المحيط بطنجـة، ليلة افتتاح الـدورة التأسيسيـة لأكاديميـة المملكة المغـربية، مـاي 1980 بفاس، فسافـرنا صحبـة سيدي عبـد الله كنـون. كانـت تلك منـاسبة أخـرى لأتمتع وأتمعن طرائف أحاديثــه عن النضال الوطني ضد الاستعمار وعـن المغامرات التي عاشها خلال تحمله مختلف المسؤوليات بعد الاستقلال.

وفي طريقنـا إلى فاس تـوقفنا لـزيارة الأستـاذ مولاي عبـد السلام المرانـي، رئيس رابطـة العلماء بمكناس، فـأفاض في إكرامنـا كما أفاض سيـدي عبد الله في إثارة ذكريات ونوادر. وأسمعنا من النكث والطرائف ما جعلني أومن بأن لعـزيزنا من فضـائل العلماء ولطائف الجلساء ما لا يهبـه الله إلا لمن

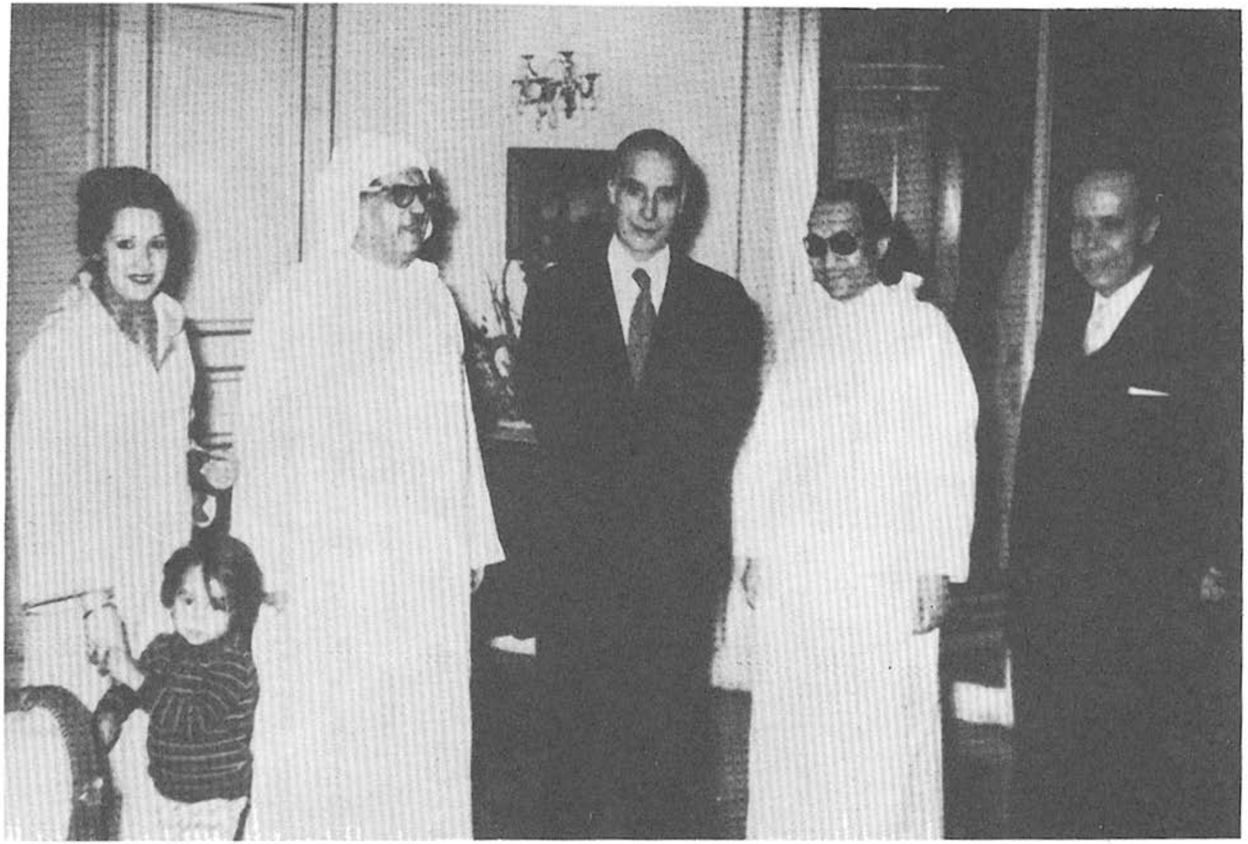

بمنزل سفير المغرب بالقاهرة، رفقة ذ. الجليل سيدي محمد الفاسي والطفل عادل الحبابي

أحبه منهم. فجمع بذلك مفاخر الحسنيين وتبوأ من المنازل أرفعها في قلوب الخاصة والعامة.

* * *

لهذه الخصال المتعددة، مما ذكر ومما لا يحتاج إلى ذكر، وللتقدير الكبير الذي نكنه لأستاذنا العزيز، دشنت «ندوة تمارة» حلقاتها التكريمية بتجديد الاحتفال بهذا العالم والأديب الفذ.

كان بودنا أن نقوم بنشر مواد تلك الحلقات في إبانها لكن ظروفا خاصة حالت دون ذلك. واليوم وقد أصبنا برزء فقدنا لعزيزنا سيدي عبد الله كنون نرى أن من الوفاء بالعهد، وإسهاما منا في تأبين الراحل تغمده الله برحمته، أن نصدر هذا الكتاب الذي يضم الكلمات التي ألقيت في تكريمه بدار الفكر وبندوة تمارة، بالإضافة إلى بعض الكلمات والقصائد التأبينية.

وقد آثرنا في تقديم وقائع الندوتين التكريميتين إثبات ما نشرته بعض الصحف بهذا الصدد، رغبة منا في الحفاظ على الطابع الظرفي الذي ميزهما أسلوبا ومضمونا. كما اكتفينا في تقديم الكلمات التي نثبتها في القسم الثالث من هذا الكتاب بما قدمها به أصحابها.

فلكل الذين تفضلوا بالإسهام عبارات الشكر والامتنان. وجزاهم الله عن ذلك خير جزاء.

تمارة، يوليوز 1990

فاطمة الجامعي ـ الحبابي

اتحاد كتاب المغرب
يكرم عبد الله كَنون

(21 فبراير 1968)

لأول مرة نكرم أنفسنا بأنفسنا
حيـث نحتفـل بأستـاذ الجيل

م. ع. الحبابي
(رئيس اتحاد الكتاب)

عبد الله كنون
في رحاب دار الفكر*

الرباط ـ أبو بكر المريني

سجلت دار الفكر حدثا مهما في تاريخها، وذلك بإقامة حفلة تكريمية لأول مرة لشخصية فذة في عالم الفكر المغربي المعاصر، الأستاذ عبد الله كنون.

وكانت دار الفكر مسرحاً لذلك الحدث الهام وصعيدا التقت فيه نخبة من الأدباء المغاربة المهتمين بقضايا الفكر.. وبالرغم من أن السماء كانت تمطر بوابل خيراتها.. فإن دار الفكر شهدت في تلكم الحفلة التكريمية إقبالا لم تعرفه إلا يوم أطرب نزار كل متعطش إلى شعره..

وإذا كان لهذا التكريم من معنى فإنما جاء ليحطم الأسطورة القائلة بأن «مغنية الحي لا تطرب»، والحقيقة التي لمستها من هذه الحفلة هي أن الجمهور متعطش، بل ظامىء إلى الاتصال المباشر بكتابنا وأدبائنا وشعرائنا، وهذا الاتصال لا يتاح إلا في فرص نادرة.

ولقد كان الحفل يتخلل بروعة الأنغام الأندلسية التي شنف الأسماع بها جوق الطرب الأندلسي. وكان الحاضرون يطوفون بمختلف قاعات دار الفكر حيث عرضت مؤلفات الأستاذ عبد الله كنون.. نذكر منها «معارك الزلاقة» و«**مفاهيم إسلامية**» و«**النبوغ المغربي**» و«**ديوان ملك غرناطة**» و«**سلسلة ذكريات مشاهير المغرب**» و«**مناهل الصفا**» و«**لوحات شعرية**» و«**واحة الفكر**» و«**القدوة السامية**» وأجزاء مجلة «**لسان الدين**» التي كان الأستاذ عبد الله كنون رئيس تحريرها وكانت تصدر سنة 1952.

(*) جريدة العلم، 23فبراير 1968، ص. 5.
دار الفكر مقر اتحاد الكتاب آنذاك.

بدار الفكر، بحضور المرحوم الزعيم علال الفاسي

كما كانت هناك عدة صور مختلفة تمثل الأستاذ عبد الله كنون مع مشاهير الأدباء العرب في المشرق العربي وكبار العلماء في العالم الإسلامي ورؤساء وملوك بعض الدول العربية...

وقد حضر هذا الحفل التكريمي الزعيم الرائد سيدي علال الفاسي والأساتذة محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس، وإبراهيم الكتاني، وعبد الكريم غلاب، والشيخ المكي الناصري وشخصيات أدبية وأساتذة جامعيون والطلبة وعدد من المثقفين ومراسلو الصحف والاذاعة والتلفزيون.

* * *

وقد تناول كلمة الافتتاح الدكتور العميد محمد عزيز الحبابي الذي أشاد بالدور الفعال الذي قام به الأستاذ عبد الله كنون خدمة لأدب المغرب، والثقافة العربية بالمغرب. ومن جملة ما قال:

«لأول مرة نكرم أنفسنا بأنفسنا، ونحن اليوم إذ نحتفل بأستاذ الجيل إنما نحتفل بالشخص الذي أغنى المكتبة المغربية بما يشرفنا ويشرف أدبنا ويعلي من شأنه في الداخل والخارج.. وبمن يزودنا بالمادة الخام سواء لطلاب الجامعة أو لغيرهم من القراء، هذا الشخص الذي يشرف المغرب في المجامع العلمية واللغوية باسم الثقافة المغربية».

وتناول الكلمة بعده الأستاذ عبد الكريم غلاب الذي ارتجل كلمة حول «عبد الله كنون الباحث» فقال:

«كان بودي أن أخلد هذا الاحتفال بأستاذنا الجليل عبد الله كنون وأن أكتب بحثا قائما بذاته عن «كنون الباحث»، ولكن مشاغل مؤتمر الصحفيين حالت دون ذلك.

إن معرفتي بالأستاذ عبد الله كنون ترجع إلى أول عهدي بالقراءة، فقد فتحت ذات يوم مجلة «**السلام**» لأجد صورة لأستاذنا ومعها بحث عن شاعر من شعرائنا المغمورين.. فالتهمت المقال ولم أفهم منه الا صورة باهتة المعاني عن الموضوع الذي طرقه، ولكنني تتبعت الأستاذ كنون بعد ذلك، فعرفت منه

الباحث المحقق، والمنقب الأمين عن رجالات المغرب، والمبرز للنهضة الفكرية والعلمية في بلادنا. وكان العمل شاقا أن يقوم به شخص بمفرده، وكلكم يعرف أن العمل الأدبي من هذا النوع وخصوصا في تاريخنا الأدبي عمل عسير المنال نظرا لقلة الكتب التي تخص هذا الميدان ونظرا لوجودها في مخطوطات مبعثرة هنا وهناك، ومع ذالك فقد اجتهد كنون لاستنباطها واستقصائها والكشف عنها أينما وجدت.

بحث وجد في البحث صبورا غير ملول، فاستخرج منها نبوغ الأديب، والشاعر، والكاتب في المغرب.. استخرج منها كتبا حققها وشرحها ولازال يعمل لإبراز ما نجهله من أدبنا المغربي، ونحن مدينون له بما أتحفنا به في هذا المجال.

وقد أخذ على نفسه البحث المنهجي في تأريخه للقدماء والمحدثين الأمر الذي يعطي لكتاباته أهمية بالغة ويجعلها مرجعا هاما من مراجع تاريخ الأدب المغربي. وفي الأدب الحديث كتب سلسلة محاضرات ألقاها في القاهرة يعرف فيها بالادب المغربي وما فيه من شعر وقصة ومقالة ورواية وبحث، وأعطى للشرق بذلك مصادر واسعة في معرفتها وتحليلها، في الموضوعات التي استنبطها والجزئيات التي عرضها والنماذج التي حللها.

والأستاذ كنون لا يهمه استقصاء المسألة الجزئية بمقدار ما يهمه أن يؤرخ لنبوغ شاعر وأديب وسط بيئة بئيسة مغلقة. وإنها لطريقة مستحدثة لمع فيها أستاذنا وجمع فيها بين البحث العلمي، والأسلوب المرسل الذي لا يتعب العقل ولا يجهد النفس.

والبحث في المكتبة المغربية ليس سهلاً لما يوجد بها من كنوز مجهولة وما يكتنفها من غموض، وقد استطاع أستاذنا أن يتغلب بصبره وجلده، وأن يكشف هذا المجهول ويوضح ذلك الغموض... وموضوعات كنون تحتاج الى صبر، ولا يستطيع أن يجلو أحد ما جلاه كنون في كتبه النادرة.

فلقد أعطانا صورة عن الأدب المغربي، وحطم بذلك القولة الشرقية الرامية إلى أن المغرب مغرب الفقهاء، وأظهر لهم أن البلد عرف كل ضروب الأدب،

وساهم بحظ وافر فيها سواء أكان شعرا أو قصة أو بحثا... وكل الأبحاث التي كتبها تجلو الأدب المغربي والشخصية الأدبية الفذة فيه. وهذا عمل جدير بأن يسجله التاريخ كوصمة كادت تعلق بالأدب المغربي، هذه الوصمة التي يتناقلها الشرقيون كأمر مسلم به؛ فهم قالوا بأن المغرب لم يظهر فيه أدب إلا ما كان بالأندلس، وهم وإن درسوا الأدب المغربي فمن باب الأندلس ويمرون على المغرب مرور الكرام كأن المغرب لم ينتج شاعرا ولا أديبا، ولا مؤرخا، ولا كاتبا.

وبعد أن كتب أستاذنا كنون لا يصح للشرق أن يتجاهل مطلقا الشخصية الأدبية ولا الجهود التي بدلها أدباؤنا القدامى والمحدثون في تمثيل الشخصية المغربية.

هذا المجهود جدير بأن يتبعه الباحثون في المغرب، فنحن في حاجة الى من يظهر شخصيتنا المغربية التي ليست ضعيفة و لا واهية كما يدعي البعض ولكنها في الواقع قوية ومتكاملة في مختلف فنون المعرفة.

فالمغاربة في الفقه يبدعون.. وحينما يتناولون الأدب شعرا ونثرا لهم شخصية تتميز عن شخصية المشارقة، وفي التاريخ تبرز هذه الشخصية بروزا تاما كما نراها مجسمة في المؤرخ ابن خلدون الذي ولد في أحد أقطار المغرب العربي، وكتب المقدمة الشهيرة في قطر منه وعاش في القطر الثالث.. ومثل ذلك في البحث الأدبي. فللمغرب طابعه الذي يميزه عن غيره.

ونحن اليوم مدعوون لإبراز هذه الشخصية حتى يتعرف علينا من يجهل قيمتنا. وإذا كان كنون قد أبرز هذه الشخصية فيما كتب ولا شك، يرجع له الفضل في إظهارها للجيل الصاعد ولمن يشتغل بالبحث.. وقد بسط لهم سبل التعمق في الخزانة الأدبية المغربية في حاضرنا الأدبي وماضينا كذلك.. فإننا مدعوون الى سلوك طريقه، وأن نزيد في البحث والعمل، لأن كنون كبادىء وممهد ورائد لا يقبل أن يتوقف البحث عند هذا الحد ليلقوا عليه العبء وحده، ولكن على الشباب أن يعملوا على انتهاج سبيله لإغناء المكتبة الوطنية.

ونحن مدينون لأستاذنا بكل ما أنتجته قريحته وما دفعه إليه طموحه المحمود، ومدينون له كذلك بما أسداه ويسديه للأدب المغربي وإبراز الشخصية المغربية.

ويجب أن يحمل تكريمه في هذه الليلة معنى الاستقرار وأخذ قبس من الشعلة التي يحملها ويوقدها لتسير في الطريق الذي سلكه».

* * *

وتكلم بعد الأستاذ عبد الكريم غلاب الشاعر علي الصقلي الذي تناول «كنون الشاعر» فحلل بعض قصائده وأبرز ما فيها من شفافية، وما تمتاز به من أصالة ورقة، وما يجللها من جمال البيان وسبك الصورة وتماسك الوحدة. ومن جملة ما قال:

«يقال إن هناك مدارس شعرية قديمة وحديثة، ففي أية مدرسة نضع شاعرنا الذي لا يوجد إلا نادرا.

وقد ضرب في كل فنون الشعر بنصيب وأدلى بدلوه في كل غرض من أغراضه. إن شعر كنون في الحقيقة قد جمع بين مدارس شتى فكان من العسير نسبته الى أية مدرسة.. ففيه من القديم الأصالة والقوة،ومن الحديث الجزالة والعذوبة.

وإنني آخذ على الشاعر كنون كتابته قصيدتين على طريقة الشعر الحر، فكأنما أراد أن يلج كل المدارس - وإن كنت من غير أنصار هذا الشعر - وهو المحافظ في غير رجعية ولا تزمت. وعهدنا بكنون أنه لا يوقع على قيثارة في حاجة الى شد أوتارها حتى لا تبعث أنغاما ناشزة».

وتناول الأستاذ عبد الله الكتاني جانب النثر في كتابة كنون فأبرز ما يمتاز به من صفاء العبارة وسلامتها من العجمة وهذه من خصائص الأسلوب المغربي العربي، وهي الطابع الذي يميزه عن كثير من الأساليب الأخرى.

وأبى الشاعر بهاء الدين الأميري إلا أن يقول كلمته عن أستاذنا كنون فقال:

«أنا أشهد أننا في مقاييس الأرض ظلمنا كنون بأن حصرنا تكريمه في هذه الرقعة الضيقة مهما كانت مشرفة ومروقة. ولكنه تكريم رمزي. وان عددا من السفراء والشعراء لم يتح لهم الحضور لأنهم علموا بالحفلة مؤخرا. وقالوا بأنهم يكرمونه بقلوبهم ونحن معهم، إذ ما دامت العواطف هي التي تستوعب فكنون يلاقي حظه من عواطفنا جميعا.

وأنا لا أقول ما قاله الأستاذ العميد بأن المغرب يكرم نفسه هذه المرة ولكن المشرق والعالم العربي والإسلامي يكرم نفسه أيضا في الحفلة الرمزية للأستاذ كنون. فعبد الله كنون لله..ولله المشرق والمغرب، فكنون في كل كتاباته تشعر به ذلك المسلم الحق والكاتب الأمين.. وقد أعطتنا كل إنتاجات كنون صورة عن عبقرية المسلم. عبقرية الإستيعاب التي فتحت له أفسح الجوانب في عالم النبوغ.

وأشكر الله الذي أتاح لي أن أعتز بأخوته، وأعتز بالتتلمذ عليه فيما قرأته من إنتاجه شعرا ونثرا.. وأعتز بصداقته في المؤتمرات العديدة التي تلازمنا فيها».

وقبل الأستاذ الشاعر بهاء الدين الأميري تقدم الشاعر أبو بكر اللمتوني وألقى قصيدة أشاد فيها بالأستاذ كنون في كل جانب من جوانب شخصيته.

❊ ❊ ❊

وأخيرا جاء دور الأستاذ كنون ليقول من أعماقه:

«إنني وإن كانت بضاعتي هي صناعة الكلام، فإنني عاجز عن توفيتكم حقكم من الشكر على ما قابلتموني به من حفاوة وخصصتموني به من تكريم.. وإني وأنا ضيفكم المغمور ببركم ولطفكم أرجو أن تسمحوا لي بكلمة لا أتكلف فيها ولا تثقل عليكم لأنني ما جئت الى هنا لأتفاصح وأتعالم، ولأنكم ما قمتم بهذا الحفل حتى أحسنتم بي الظن ونظرتم إلي بعين الرضى، فليس مطلوبا مني

خطاب بليغ ولا حديث أدبي رفيع لأنني وإن حاولت ذلك فلن آتي بجديد غير ما تعرفون عني وقد برهنت أحاديثكم على أنكم من أعرف الناس بعجري وبجري».

وشكر في كلمات أخرى دار الفكر والأساتذة الذين تحدثوا عن آثاره وكل الأخوة الحاضرين. وفي غمرة التصفيقات كان الأستاذ يصافح أصدقاءه في الفكر وأحبابه في الكلمة. وقد قام بعد ذلك بالتوقيع على مؤلفاته وإهدائها إلى من جذبته مواضيعها.

عبد الله كنون من خلال ديوانه «لوحات شعرية»

الرباط ـ علي الصقلي

حضرات السيدات والسادة

كم أنا سعيد جدا أن تستنير دار الفكر اليوم بعلـم من أعلام الفكر المغاربة لتحيي في شخصه العالم الفذ، والأديـب النادر المثال! إنه عبد الله كنون الفاسي أصلا ومنشأ، الطنجي دارا ومقاما.

وكم أنا سعيد جدا أن أقول كلمة، ولـو وجيزة، في حفل تكريمه هذا، اعتبارا لما له علي، كمنتم إليـه انتماء فكريا وأدبيا، من حق أرى مـن واجبي أداءه نحوه بمنتهى السعادة والاغتباط.

لا أريد أن أسبـح في عالم عبـد الله كنون الفسيح الأرجـاء، طالما أن الـوقت المخصص لي من بين الـزملاء في هذا الحفل الكـريم لا يسمح بذلـك، كما أنني، وأعترف بذلك سلفا، عاجز عن سباحة مامونة في ذلكم العالم اللامتناهي!

لهذا آثرت أن أقتصر على «**لوحات شعرية**» لعبد الله كنون كباكورة لأعماله الشعرية، ولاريب أن الديوان يستحق أن يكون محط توقف، وكأنه حديقة غناء، تتناجـى أطيارهـا، وتخلب اللـب أزهارهـا، وتتراءى نموذجـا للطبيعة في أرقـى وأجمل مفاتنها.

قد يتساءل المتسائلون :

لماذا تأخر عبد الله كنون في نشر جملة من أشعاره، ضمن ديوان، الى اليوم، علما بإن الديوان حديث الصدور؟

لا أعتقد، كجواب على هذا السؤال، غير كون عبد الله كنون شغف بالبحث العلمي في مختلف مجالات الفكر إلى حد أنه تناءى شيئا فشيئا، تحت ضغط شغفه، عن عالم عبقر، عالم الكلمة المجنحة، والمعنى الشارد، والنغم المسحور.

وهكذا تقلل من قول الشعر، حتى كان يمر عليه الحول والحولان، لايقول فيهما بيتا شعريا واحدا، كما أشار إلى ذلك في مقدمة الديوان.

وهكذا انصرف الى الكتابة والبحث. وقد يكون من المؤسف أن يكون هذا الإنصراف على حساب الشعر المنكود الحظ في بلادنا، السيء الطالع عندنا.

ولسنا نوافق الأستاذ كنون، وهو الشاعر بطبعه، كما تشهد بذلك قصائده ومقطعاته، على قوله: إن الكتابة والبحث قلما يجامعان الشعر الذي يصدر عن عفو السجية، وفيض الخاطر.

عالج أستاذنا كنون مختلف أغراض الشعر المعروفة في ريِّق شبابه، ثم أبت عليه همته إلا أن ينصرف عن هذه الأغراض، لأنها لا تلبي حاجة تعتمل في نفسه، وهو الشاب الطموح، والمصلح الغيور، والأمر يومئذ على ما كان عليه من كبت للحريات، ودوس الكرامات، ونية مبيتة للسطو على الوطن سطوا نهائيا، فكان أن أقبل بدافع من شعور متأجج، وغيرة متقدة، على التغني بوطنه والتحدث عن آماله وآلامه:

ألا ليت شعري متى أرتقي ... عن الشاعر المادح المعتب
وينبغ شاني في الكاتبين ... نبوغا حقيقا بلا كذب
فيسمح قولي حتى الجماد ... ويطرب من ليس ذا طرب
وأمنح في الحق وصف الأديب ... وما فوق ذلك من لقب

وكان أن أخذ ينظم الوطنيات الروائع التي تنطلق في الشباب المغربي نارا موقدة تلهب حماسه، وتفجر فيه ينابيع الوعي، وتدفع به الى الحركة والعمل. قصائد «آلام وأحلام»،«الحماسة العصرية»،«الإغفاءة»، «من هو الغريب؟».

بل لقد ذهب الشاعر في هذه السبيل الى حيث أخذ يضرب على نفس الوتر حتى في قصائد الرثاء، كمرثيته في أبي بكر بن عبد الوهاب، وقصائد المدح التي قالها في تهنئة الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه ببعض أعياد العرش.

وهنا أحب أن أقف وقفة قصيرة في قصيدة «العرش وحوادث سنة 1951» التي مطلعها:

العرش أرفع يا حمالة الحطب ... من ان ينهنهه التهديد بالعصب

ففي هذه القصيدة الكثير من أنفاس بائية أبي تمام الشهيرة:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

وأبادر إلى القول بأن قصدي بالأنفاس هذه الحرارة التي تكمن في أبيات القصيدتين، وهذا الصدق الذي يطبعهما معا شعورا وعاطفة وأداة.

فهو يقول واصفا نهاية المكيدة التي كان دبرها الجنرال جوان لصاحب الجلالة، والتي باءت بالفشل:

أين الفوارس فيما يزعمون أتوا ... للانتقام من الداعي إلى الشغب ؟

وأين قائدهم تغلي مراجله ... حقدا على كل حر بيننا وأبي ؟

تعطبت قوة كانت تحركهم ... بقوة مالها في الدهر من عطب

ولاذ «خوان» عهد العرش بعدهمو ... مما يلوذ به الجاني من الهرب (1)

وكان فتح وحقن للدماء معا ... فاعجب لفتح على حقن الدم السرب

ففي هذه الأبيات، كما قلنا، نكهة تمامية، ونفس من ذلك الطراز العالي، فإلى جانب قوة الشعر، وجزالة الألفاظ، وتسلسل المعاني، ووحدة الصورة، نجد قدرة

(1) يريد به المارشال جوان، وقد حرف الاسم حسب النطق الاسباني لذلك أباح لنفسه هذه الاضافة!

على التأثير، وهز المشاعر بشكل يبعث على الإعجاب بالشاعر، وبأثره الخالد، وكم يعجبني من هذه القصيدة بالذات قول أستاذنا كنون:

من يبلغ «الكاي دروسي»عن سياسته — بـأنها أصبحت تنحـط في صبـب (2)
وان نـــوابـــه فينـــا، وان عظمـــوا، — فهـم على شعبهم مـن أعظم النـوب
بثـوا لـه الكره في كـل النفـوس بما — يدعـون من دعـوات الويـل والحرب
وألبـوا ضـده الـدنيـا بما نقضـوا — مـن العهود ومـا داسـوا من الكتـب

إلى أن يقول مخاطبا إخواننا العرب:

إيه، بنـي العرب، جوزيتم بمـوقفكم — منا كـأفضل مـا تجزى ذوو القرب
ولا عـدمنـــا نصيرا مـن اخـــوتكـم — فنحن في الدين والفصحى بنو نسب

وهكـذا يمضي شاعـرنا إلى أن يخلـص إلى المديح، في نفـس التماسك والقـوة والجزالة، وهكـذا تظل قصيدته هـذه إحدى الروائع التـي تنفح بعطرها كـل من يغشى رياض الشعر المغربي.

الشعر الـوطني إذن عنـد شاعـرنا أحـب شيء إلى نفسه، وأدنـاه من قلبـه، وأفضله لديه، ولاشك أن ذلك منبعث مِنْ نفسه المتعلقة ببلاده، الشغوفة بها:

ولي بين أضـــلاعـي وبين جـوانحـي — فؤاد يُرى في حادثـات الدنى صخرا
أحملـه مـا نـــاء «رَضْـوَى» بحملـه — فيحملـــه مـــا ان يحس لـــه وقـــرا
ويـأبـى التصابي والتعلـق بـالهوى — لأنهما لِلْـــهـــُـــونِ كـانـا لـه جسرا
فـــلا حـــب الا للبـــلاد وأهلهـــا — تخلـــل أنفـــاسي وأشربتـــه خمرا

وعندنا، كما في كل المجتمعات العربية عـامة، أن الوطنية لا تكاد تنفصل عن الدين، ولـذلك نجد أن شاعـرنا قد سلك إلى الـوطنية سبيل الديـن كما سلك إلى الدين سبيل الوطنية، وهذا ما يفسر تعانق الجانبين معا في أكثر من قصيدة.

---

(2) le Quai d'orssay

لنأخذ مثلا القصيدة الثانية في ديوانه، والتي عنوانها «لسان حال الدولة الإسلامية». فاللازمة المترددة في القصيدة بعد كل بيتين هي:

يا بني الإسلام ما هذا الجمود؟

وهي كلها استنهاض للهمم الراكدة، وإستيقاظ للمشاعر الراقدة، وتحدث عن الماضي الزاهي ودعاء للسير في طريق التحرير والعمل البناء:

دول الإفرنج تعلي شأنها   وأنا في كل شيء دونها
وبنوها أحرزوا كيانها   وبُني الغفلُ نهبٌ بينها

يا بني الإسلام ما هذا الجمود ؟

رب يا عالم أسرار الورى   ما لقومي يرجعون القهقري
ما لهم صاروا الى ما قد أرى   بعدما كانوا إرتقوا شم الذرى

يا بني الإسلام ما هذا الجمود ؟

الفتوحات التي ليست تنال   أبطالها يوم النزال
فانهضوا نهضة شعب متعال   للوغى بالبيض والسمر العوال

يا بني الإسلام ما هذا الجمود ؟

هذا الروح الإسلامي الكريم نلمسه في غير قصيدة حارا كأقوى ما تكون الحرارة، طيبا كأشد ما يكون الطيب، صارخا أحيانا، ناقما أحيانا أخرى، بل نلمسه أكثر فأكثر في الأناشيد الوطنية المستقلة، الثائرة، في نشيد الكشاف وفي النشيد الوطني وفي غير هذا أو ذاك.

كلنا للوطن   إن دعانا الفدا
ليس يلقي الوهن   لذرانا اهتدا
نحن نسل الكفاة   ليس فينا بليد
لانعد الحياة   غير عز وطيد
انما المغرب   كعرين الأسود

شعبنا يحميه

قلت فيما قبل : ان أستاذنا ضرب في كل فنون الشعر بسهم، ولا أحب أن أقف في فن الوطنيات والإسلاميات عنده، وإن كنت أراها أصفى مرآة ينعكس عليها شعره في قمة رونقه وقوته، فهناك الوصفيات، وهناك المراثي، وهناك الغراميات، وهناك المدائح، وهذه إنما تخص قائد البلاد المغفور له محمد الخامس. وهي في جملتها تعتبر صرخات قوية من صرخات شاعرنا في ميدان الوطنية الفسيح، كما ألمحنا إلى ذلك قبل، وحتى المدح الخالص عنده لم يكن من النوع الذي تعودنا ان نشم منه رائحة التزلف الكريهة، والرياء البغيض، والمبالغات المقيتة وإنما هو مدح يظل دائما في إطار الاعراب عن عواطف المحبة والتقدير، لا أقل ولا أكثر.

يا ناصر الدين في شتى مواقفه	وحامي العلم والتاريخ والأدب
عفوا إذا طال شعري في النضال فلم	أقصد به غير دفع الشك والريب
وغير كبت خصوم العرش انهمو	أحق بالكبت بل بالطعن في اللبب
أما المديح فما أغناك عنه بما	أقناك ربك من دين ومن حسب
وما اغتدى لاسمك المحبوب من عظم	يغني الأديب عن الأشعار والخطب

وبعد، فهذه نظرة جد خاطفة حول شعر شاعرنا كنون، من خلال ديوانه **«لوحات شعرية»** لا تتناوله بجد بقدر ما تصوب نحوه إشارات خفيفة تثير الإهتمام به كأثر من آثارنا الأدبية الجديرة بالإهتمام.

بقي أن يقال: إن هناك مدارس شعرية كثيرة؛ ففي أي مدرسة يمكن تصنيف شعر الأستاذ كنون؟ وإلى أي منها ينتمي؟

للرد على هذا السؤال أقول: إن هذه العجالة ليست كافية لبحث هذا الموضوع بحثا أمينا ودقيقا، ولكن الذي يبدو لي ــ إذا لم تخطئني سرعة البديهة ــ أن شعر الأستاذ كنون جمع بين مدارس شتى، فكان بذلك من العسير تصنيفه في واحدة بخصوصها، ففيه من كل مدرسة طابع ملحوظ، وسمة مميزة.

فهناك الجمال البيـاني في اللفظ والمعنـى، وهناك الجمال الفنـي في الصورة، وهناك الى جانب هذا وذاك الوحدة العضويـة للقصيدة، هذه الوحدة التي تتميز بها جل القصائد، والتي تجعل من القصيـدة أو القطعة سلسلة متصلة الحلقات، ولولا مـا عرفنـاه من طمـوح الرجـل ليجول في كـل مجال، وليثبت قـدرته على المشاركة في كل فن، لعجبنا أشد العجـب، وهو المحافظ في غير رجعية ولا تزمت، من قرض الشعر على النسق الحر الجديد.

ففـي الديـوان قصيدتـان إثنتان مـن هـذا القبيل، وبما أن الـوقت لا يسـع لتقويمهما، وإعطاء الـرأي الصريح فيهما، فإني بذلـك أعتذر لأستاذنا عـن غض الطرف عنهما. علىَ أنني أكاد أوقن بأن شاعـرنا إنما خرج عن طبعه، وسار في غير طريقـه، ليروح عن نفســه قليلا، فعهدنـا بالأستاذ كنـون أنه لا يـوقع على قيتارة ماتـزال أوتارها في حاجة مـاسة الى ضبط وشد، حتـى لا تبقى مهزوزة، تكاد تجرح نغماتها الحواس الصافية والأذواق السليمة. والسلام.

عبد الله كنون علم في المغرب وعلم في المشرق

الرباط ـ بهاء الدين الأميري

يتميز الإسلام بميزة قد يكون متفردا بها بين رسالات السماء وقوانين الأرض، ألا وهي عبقرية الاستيعاب من جهة، والتوازنية أو الموزونية من جهة ثانية. وكلما تعمقت اعتناقية الإنسان للإسلام وأشرقت جوهريته في قلب مؤمن به اقتبس هذا المؤمن من الإسلام العظيم مزيته الفذة، فتموضعت آثارها وأسرارها في حياته وفعاليته.

والأستاذ العلامة الكبير الجليل الأثير الشيخ عبد الله كنون من أبرز المؤمنين الذين شرفهم الله وأكرمهم بالإسلام، لا تقليدا وتقليديا، بل اعتناقيا وسلوكيا وإيمانيا. وقد وهبه الله مواهب شتى وفتح له من دروب المعرفة وأشواق الحكمة وأذواقها ميادين وميادين، فحاز بذلك صفة الإسلام الذي أكرمه الله باعتناقه والذي أحبه وتفانى في خدمته والعمل على إعلاء كلمة الله نشرا له وتعريفا به ودعوة إليه. لقد استمد الأستاذ عبد الله كنون من الإسلام العظيم ما يمكن أن يستمده إنسان مؤمن من دين معطاء خالد، استمد عبقرية الاستيعاب واستمد التوازنية والموزونية، وهو علم في المغرب وعلم في المشرق، وآثاره تستوعب بإشعاعها مطلقات الفكر العربي والإسلامي، بل أكاد أتوسع وأقول الإنساني.

جزى الله الصفوة من الاخوة الذين يكرمونه اليوم. وانهم بذلك ليكرمون أطيب المزايا وأجل السجايا. ومد الله في عمر أستاذنا وأخينا الحبيب حتى يزيد في عطائه ومضائه، وتقبل عمله وعملنا خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

نكرم السابق من أبنائنا

طنجة ـ أبو بكر اللمتوني

إن يكن للفكر في مغربنا ... خادم أو شاكر أو ناصر
فهي دار الفكر دامت منبعا ... يزحم الواردَ فيها الصادرْ
أنِقَتْ فنا وضاءت حكمة ... فكلا الحسنين فيها وافر
فجلال العلم فيها آسر ... وجمال الفكر فيها ساحر
كان للفكر بنات شُرد ... يتخطى حسنهن العابر
ثم آواهن حصن سامق ... وعمى غال وبيت عامر
اننا اليوم بنو دار بها ... رحم حرى ورب ساهر
نكرم السابق من أبنائنا ... وينال العون منا العاثر
وإذا ما بنت فكر ولدت ... زين البيت وغنى الشاعر
قل لمن يحيي ليالي دارنا ... عزت الدار وعز السامر

أنت يا من يكرم العلم ومن ... يحتفي بالفكر أنت المكرم
أنت لولا ذوقك الصافي الذي ... لم ينله كدر أو سقم
واعتزاز بالرسالات العلى ... وفؤاد بالغوالي مغرم
وئد الفن إذن وانتكست ... صولة الفكر وذل القلم

ان عبـــد اللـــــه كنـــون على	عـــزة الفكـــر لـــدينـــا علـــم
رجـــل أصبـــح ممـــا لابســـت	شخصـــه الأفكـار معنـــى يفهـــم
شفـــــه المحتـــــل ظلما فغـــدا	مـــن عيـــوب النـــاس ألا يظلمـــوا
ولقـــد قمنـــا على تكـــريمـــه	فسما النبـــل وعـــز الكـــرم
أيها النـــافـــح الاستعمار قـــد	رفـــع الحجـــر وطـــاح الصنـــم
ان أفكـــارك تحيـــى حـــرة	فهـــي في كـــل سماء حـــوم

إن يكـــن كنـــون ذكـــرا ســـائرا	في حمى الضـــاد ودنيـــا العـــرب
جـــل عـــن أن يـــدعيـــه بلـــد	فهـــو ابـــن العلـــم وابـــن الأدب
فعلى طنجـــــة مـــــن آلائه	رحمة الابـــن وتحنـــان الأب
فـــدعـــوا طنجة تـــزهـــى بفتـــى	هـــو منهـــا في أعـــز الـــرتـــب
طـــربـــت ان كـــان فيهـــا مثلـــه	ومـــن القســـوة قطـــع الطـــرب
مثـل كنـــون يبـــاهـــي مـــن يـــرى	دانيـــا منـــه بـــأدنـــى سبـــب

ندوة تمارة
تكرم عبد الله كنون*

(21 يناير 1979)

(*) من سلسلة الندوات التي تعقد في بيت آل الحبابي بتمارة، بحضور شخصيات فكرية وأدبية وسياسية.

عبد الله كنون الحسني

طنجة (المغرب)

أشكركم من جديد على كل ما
فعلتم من أجلي وأدعوه عز
وجل أن يحفظكم ويديم عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة ويقر
عينكم بنجلكم النجيب.

(*) أشكركم من جديد على كل ما فعلتم من أجلي،وأدعوه عز وجل أن يحفظكم ويديم عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ويقر عينكم بنجلكم النجيب.

(عبد الله كنون الحسني، طنجة)

حفلة تكريمية للعلامة عبد الله كنون

سلا ـ الحاج أحمد معنينو

من الخصال الحميدة والاعتراف بالجميل، وتقدير العلم والعلماء، والأدب والكفاح الوطني، ما يقوم به بين الفينة والفينة: الدكتور محمد عزيز الحبابي وقرينة حياته الدكتورة فاطمة الجامعي في بيتهما الكريم.

لا أجد عبارة توفيهما الشكر والامتنان، على هاته الروح الكريمة، روح التكريم للعلم والعلماء.

فقد تلقيت دعوة كريمة، من لدنهما للحضور في حفل، أقيم في بيتهما العامر، يوم السبت 21 يناير 1979 على الساعة الثالثة والنصف مساء تحت عنوان: تتفضل بالحضور في حفل شاي تكريمي (مناظرة حول المجمعي عبد الله كنون).

البرنامج :

ـ معرض لمؤلفات كنون، وقد وضعت مؤلفاته المتعددة المتنوعة في مختلف العلوم والفنون، فوق طاولة وسط الحفل.

ـ الأستاذ مولاي مصطفى العلوي، «كنون عالما»،

ـ الدكتور عبد الهادي التازي «كنون باحثا» (ومع الأسف تعذر حضوره!)،

ـ الأديب مولاي علي الصقلي «كنون شاعرا وأديبا»،

ـ الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني «كنون الإنسان».

وتشرف الجمع بحضور الأستاذ كنون المحتفل به، والعديد من العلماء والعالمات، والأدباء والأديبات. وبعد شرب الشاي، افتتحت السيدة الجامعي الاحتفال، ودعت إلى قراءة الفاتحة، على روح الكاتب الأديب الأستاذ أحمد بناني، الذي وافاه الأجل، فترك فراغا كبيرا. وعقب ذلك تقدم العلامة مولاي مصطفى العلوي فقدم الأستاذ كنون في كلمة علمية دينية؛ تعرض فيها لموقفه الحازم في

المرحوم ذ. عبد الكريم الحمياني يحاور ذ. كنون

الرد على المفتري الحقود! سفير السوفيات! تحت عنوان: «**الرد القرآني على كتيب: هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟**»، الرد الذي ينشر بتتابع على صفحات مجلة «**دعوة الحق**» الغراء كمثال على نشاطه العلمي، ووقوفه في وجه الحاقدين والأفاكين الجهلة. وكان من المنتظر أن يتكلم الدكتور عبد الهادي التازي، تحت عنوان: «كنون الباحث»، ولكننا علمنا تخلفه لأسباب قاهرة! منعته من المشاركة.

وتقدم الأستاذ الأديب علي الصقلي في موضوع «شاعرية كنون وأدبه» فأجاد وأفاد، وأتى بأمثلة حية وأوضح الأصالة في كتابة وشعر الأستاذ كنون وأدبه الحي على طريقة علماء الفن القدماء! فكان لحديثه رنة وحيوية وبلاغة وعواطف نبيلة، وجال الباحثون في الأدب القديم والجديد وفي الشعر المنظوم والمنثور وتبودلت الآراء في الموضوع.

ثم جاء دور الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني فتكلم عن مكانة هذا العالم «الإنسان» وأنها بلغت القمة، ومن جملة ما ذكر أنه وهو طالب بسوريا مع أخويه حوالي 1960، زار الأستاذ كنون في بيته! فقابله وأخويه بإنسانيته العظيمة، ولطفه ومكارم أخلاقه. وأجاد في التعبير عن إنسانية الأستاذ كنون، كما أن الشاعر الأديب السابق الذكر أعطى البرهان القاطع على مكانة الشعر الموزون على مذهب الخليل وأنه الأساس لكلام العرب وإذا ترك فإن كلام الشعراء في مختلف العصور سيضمحل، ويقول: وأستحسن من الشعر المنثور ما يقارن وزنا ما بتفاعيل وإن كانت خارجة عن نطاق الأوزان المشهورة.

ثم تدخل عدة أساتذة بملاحظاتهم وإشاراتهم على مكانة الأستاذ كنون. ومن المستملحات التي ألقيت كلمة الأستاذ إبراهيم الكتاني القيم على الخزانة العامة في قسم المخطوطات. فإنه ألقى كلمة قيمة وغريبة ومدهشة! قال إن الأستاذ كنون عندما ألف كتابه القيم «**النبوغ المغربي**» قدمه هدية لإخوانه العلماء الأدباء الموجودين بسجن عين مومن! ولم تتنبه الإدارة حيث بحثت في الكتاب وقدمته للسجناء فقرأوه واستفادوا منه والحال أن السلطات الاستعمارية الحاكمة خارج السجن منعته من الرواج! وهذا محط الاستغراب، وطنيون مساجن يقرأون كتابا ممنوعا أن يروج بين عامة الناس خارج السجن؟ فضحك القوم لغباوة المستعمر وأذنابه.

ثم تكلم الأستاذ محمد الفاسي فشكر الدكتور الحبابي وزوجته على هذه العناية برجالات العلم والأدب. وقال إن الأستاذ كنون رفيقي في المجالات العلمية

والأدبية، وفي اعتكافه على خدمة العلم. كل هذه الصفات تخوله كامل التقدير والاحترام وأنه يهنئه بهذا الحفل المبارك. وجدد الشكر للقيمين على هذا الحفل وودع.

ثم أعقبه الأستاذ العلامة محمد بن سودة التاودي فشكر الأستاذ كنون على عنايته واهتمامه بتقديم كتابه، «**قبيلة زعير قديما وحديثا**» حيث قرضه وسدد خطواته، وكم لجنابه في هذا الباب من نظير، يشجع ويبارك خطوات الكتاب والمؤلفين بكل تواضع وحيوية ونشاط. وعلى ما أذكر تكلم الأستاذ عبد الكريم غلاب، مقترحا فتح باب المناقشة، فجرت بعض المذاكرات! في مواضع شتى. عقبها مباشرة وقف الأستاذ كنون المحتفل به لمنصة الكلام، ولا أقول الخطابة! لأن كل الكلمات كانت عفوية في إطار الحديث الأخوي، دون كلفة أو تقدير، وشرع يرد على أقوال المتكلمين بلباقة وشكر، وفي الكلام حول الأدب حصل تدخل العديد من الحاضرين حول الأدب الموزون والأدب المنثور! وأخذ الحديث مجراه وأعطي الموضوع ما يستحقه من تعاليق وتأييد ونكران؛ وتكلم الأستاذ كنون في هذا الموضوع بطول، وأعطى البرهان القاطع، على مكانة الشعر الموزون على مذهب الخليل، وأنه الأساس لكلام العرب، وإذا ترك فإن كلام الشعراء في مختلف العصور سيضمحل ويبور! واستحسن من الشعر النثر ما قارنه وزن مَّا، بتفاعيل وإن كانت خارجة عن نطاق الموازين المشهورة وكاد الأستاذ كنون أن يختم حديثه العذب الزلل الذي يعرب عن طوية هذا العالم المسلم والأديب البارع، والمؤلف الخبير والنقادة المتزن، والباحث الحصيف.

وهنا رغب الأستاذ الحاج أحمد معنينو أن يؤذن له في كلمة حول الأستاذ كنون إسهاما منه في هذا الحفل التكريمي! فأذن له، فجلس بجانب الأستاذ كنون، وافتتح القول بأن هذا التكريم لرجل العلم والأدب شيء عظيم، وحري بأهل الفضل أن يكرموا العلماء والأدباء والمفكرين والكتاب والمؤلفين في حياتهم، لأنهم يؤدون أمانة عظمى لأوطانهم وبني قومهم.

ومن كعبد الله كنون صديقي وحبيبي وصهري يستحق هذا التكريم!؟

ذ. الجليل السيد أحمد معنينو يتحدث إلى المرحوم ذ. خليفة المحفوظي.

وقال الأستاذ معنينو إنني سأطرق موضوعا يخالف كل الموضوعات التي تكلم فيها من قبل تكريما لشخصية الأستاذ كنون على ما قام به من جهود علمية وأدبية!

موضوع غاب عن أذهان المشاركين الذين أسهموا بكلماتهم في الموضوع، وأخوه وصديقه يسهم الآن بالبعض من هذا النوع المشرف للرجال البررة والعلماء الأجلاء الذين لا يستهويهم المظهر والعظمة المكذوبة، ولا ينحنون لنشر الرذيلة بالأوساط المسلمة، ولا يسجلون في حياتهم الطاهرة مواقف الخزي والعار!

وأظنني لست بالشاعر، ولا بالأديب، ولكنني كُوَيْتِبٌ يستطيع التعبير عن أفكاره، وتسجيل ما يروج بلغة سلسة وسهلة، ذلك أيها السادة إنكم جميعا تعرفون الأحداث الجسام، التي حلت بمغربنا العزيز من طرف المستعمرين الذين هاجمونا في قعر ديارنا! واختطفوا من بيننا رمز سيادتنا ووحدتنا وعظمتنا وأمجادنا؛ ملك البلاد المفدى محمد الخامس وأسرته الكريمة.

وبرحوا بهم جميعا لأبعد الأمكنة نفيا لهم وسجنا! لأنهم أعربوا على محبتهم لشعبهم، ولم يقبلوا التنازل قيد أنملة عن حقوق شعبهم. فقام الشعب برد الفعل! وأعلنها ثورة عارمة ضد المحتل الزنيم وأعوانه الخونة، فسقط العديد من هذا الرهط، ولم يستقر المغرب، ولم يتراجع عن ثورته وتضامنه وتضحياته في سبيل إنقاذ الكرامة. ورفعة العرش المغربي الكريم، حتى اضطر الغلاة القساة إلى الخضوع لإرادة الأمة والرجوع بجلالة الملك وأسرته الكريمة، للوطن المفدى يحمل بيمناه الحرية وبالأخرى الاستقلال! استقلال البلاد.

والأستاذ كنون في هذا الظرف ابتعد بنفسه وفر إلى المنطقة الخليفية ابتعادا يشرف العلم والعلماء! واستهجانا لهذه المعاملة القاسية والرذالة البشرية؛ فاستقبل بالتكريم والاحترام نظرا لما يتمتع به البيت الكنوني ويعرب عنه هذا السيد الجليل المحتفل به حتى أذن الله بالنصر. وهكذا نجد العلماء الأوفياء يبتعدون بأنفسهم وبكرامتهم أن تداس تحت أقدام المعتدين!

فقابل جلالة الملك هذه الوقفة الشجاعة من هذا العالم البار المتوفر على التجربة والحنكة والنزاهة وخوف الله، نعم، عينه جلالة الملك عاملا على منطقة طنجة، فتقبلها وحل بها وانشرح خاطر المواطنين لهذا التكريم المتبادل بين الملك وعلماء شعبه الوفي.

الكل يعرف أن طنجة عروسة المغرب، جعلها الاستعمار منطقة دولية طيلة أيام الاحتلال البغيض!

وعند التحرر من الفتنة والطغيان حصل لها ولمجتمعها التطهير والنقاء والشرف والنبل حيث أغلقت الخمارات ومراكز القمار والبغاء والانحلال الخلقي، وقام أناس مدسوسون يدعون بأن طنجة بإقدامها على قفل أوكار القمار والبغاء والفحش، أصبحت في حالة استثنائية! لا تدعو إلى الازدهار والنمو! والحل الوحيد للرواج وتحسين حالة السكان هو افتتاح أبواب المناكر، من معاهر وأندية القمار والفحش والمنكر!؟

واستدل أقوام بأن حالة طنجة المالية في الإفلاس! ولا إنقاذ لها إلا بالرجوع لعهدها المهين الحقير!؟ فعرضت الفكرة على سعادة العامل ليقوم بدوره ويفسح المجال للقمار والزينة والفحش! لتستقيم أحوال السكان؟ (كذا قالوا)، ومن كالخبراء في الاقتصادَ؟!

امتنع العامل كنون من مسايرة هذا الرهط! وبلغ الأمر بهؤلاء أن يجرأوا على أن هذا تعصب في غير محله؟ وأن الحياة الكريمة هي الرجوع إلى الفحش والمنكر!؟

حضر الأستاذ كنون للتشرف بمقابلة جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، وجرى الحديث في الموضوع! وأبان بكل جلاء موقف الإسلام من هذه المنكرات التي لا تعود على الأمة إلا بالخسران المادي والأدبي!؟

وتعصب المسؤولون الكبار وحاولوا إرغامه على القبول، واختار جلالة الملك طريقة سهلة للحل، بحيث يحضر وزير الداخلية بنفسه لطنجة، وفي عين المكان يحسن تبادل الرأي، ويقع الاختيار على الوجهة الصالحة، وفعلا رجع الأستاذ كنون هذا، صاحب الجلباب والرزة! يحسب لهذه المقابلة حسابها! ومهد لها تمهيدا فاق فيه السياسيين المهرة! فاستحضر لمكتبه وفود سكان طنجة:

- الجاليات الأجنبية بالثغر الطنجي البديع، من إنجليز، وفرنسيس، وإسبان، وأمريكان وو... وفتح معهم الحديث، حول هذه الأندية! وأخذ رأيهم فيها، فكان الإجماع الشامل على أن لا عودة لفتح المواخر المهلكة! بحيث استطاع الأستاذ كنون أن يتوفر على معلومات أكثر حجة، على فساد الرجوع بهذا المنكر للظهور! حيث عدد كل فريق أنواع النكبات والموبيقات التي أصابت أبناء جلدتهم عند زيارتهم لهذه المدينة، يدخلونها وبيدهم الملايين! ويخرجون وجيوبهم فارغة!

وما هي إلا ليلة من ليالي هذه المواخر تتسبب لهم في هذا الخسران، ثم عقب باليهود سكان طنجة، وختم بالسكان المسلمين الذين أعربوا جميعا لسعادته على أن كل الأسر الغنية عقب وفاة عمدتها يدخل الأبناء لهذه المواخر ليلة أو ليلتين، ويعلنون الإفلاس!؟ وإنه لا محل للرجوع إلى المنكر.

جـاء معالي الـوزير لطنجـة، فعقد لـه اجتماعا مــع هذه الـوفود المتعـددة: نصرانيـة، ويهودية، ومسلمـة حيـث حصـل الإجماع بين الحاكم والمحكـوم، بين العامل والسكان، والكل يستنكر العودة لحياة الفحش والمنكر فرجع معالي الوزير متألما من تنطع العامل الفقيه المسلم!؟ وكأنه بدوره يقول:

إن مثل هؤلاء المتزمتين لا يصلحون لتولي هذه المناصب، ويجب أن تسند إلى أناس متحـررين! وبمعنـى أوضح، مسلـم متفتح وهـو الذي يبيـح المحرمـات! ومعنى متحررين إباحيين بصارح القول؟ وبقي الأمر على هذا الشكل إلى أن قدم الرجـل استقالتـه من هذا المنصـب، وعاهـد الله والأمة والـوطن ألا يسجـل هذا الفحـش، هذا المنكـر في صحيفته، قـدم استقالتـه وتعين عـامل جـديد وانتهـت القضية. واللبيب تكفيه الإشارة؟

هذه واحـدة وأظنها في نظري أعز وأكـرم وأغلى منقبة تسجل للسيـد كنون، فيكرم ويعظم من أجلها. فوق التكريم بالمؤلفات والكتب والروايات.أليس كذلك؟

والثانية، أسند صاحب الجلالة محمـد الخامس رئاسته في الحجيج لبيت الله الحرام سنة 1957 للأستاذ كنون، ومن الطبيعي أن رئيس الوفد المغربي يتكلف من طـرف وزارة الأحباس والشـؤون الإسلاميـة بتوزيـع ما يتـوفر لـديها من أحباس الحرمين الشريفين، ويتحمل مع الدراهم بقائمة بأسماء الشخصيات التي تمنح هـذه العطاءات، وعند بلـوغه الحرمين، تسلـط عليه جماعة مـن المتلاعبين السماسرة! باسم الأشخـاص الذين لا وجود لهم، منهـم من توفي، ومن ســافر، ولم يبق منهم إلا نفر قليل.

ولكـن الأستاذ كنـون اهتدى إلى طـريقة جـد سليمة، فطلـب من هـؤلاء أن يحضروا الرجال البررة ليتبرك بمجالستهم والتعرف عليهم والحديث إليهم. وهنا سقط مـا في أيدي هـؤلاء الدجاجلـة! وافتضحت اللعبـة والتدليـس! وتعرف على حقيقـة الأمــر، وان هـؤلاء إنما هـم سماسرة! لا ذمــة لهم ولا شرف! يلعبـون ويدجلون في الحرمين الشريفين، والأمر لله.

أنفق الأستاذ كنـون من هذا المال في عدة أوجه مـن البر والإحسان، واحتفظ بالباقي وهو الكثير؛ ورجع به إلى المغرب، وحرر بذلك تقريرا في الموضوع، ولكنه عندما عرض الفكـرة على المسؤولين أجيب: خذ هذا المال فهو لـك. فأجاب: كيف يسوغ لي أخذ المال وهو محبس من أصحابه على أوجه البر والإحسان بالحرمين الشريفين؟ فحصل الأخـذ والرد. وأرجعت الأمـوال لوزارة الأحباس، وبـرئت ذمة هذا الرجل المؤتمن على الأموال والأعراض. وهذه الوقفة الإسلامية من جناب هذا الـرجل هـي التي تستحـق في نظري منـا جميعـا تكريمـه واحترامه والاحتفـاء بشخصه ومواقفه.

وهنا رجع الأستاذ كنـون إلى توضيح ما أعرب عنه الأستـاذ معنينو، وجدد الشكر لجميع الحاضريـن ولصاحبي المنزل والفكرة والتنفيذ، وذكـر بالصالحات كل الذين أشادوا به، واستسمحهم صفة المنصفين، وحمد الله الكريم الذي وفقه لهذه المواقـف الخالدة، وشرح ظـروف ما تحدث عنـه الأستـاذ معنينو وشكـره وصاحبي الدعوة الكريمة، وكان ذلـك مسك الختام لهذا الحفل التكريمي الممتاز. والسلام.

تدخل للعلامة سيدي محمد الفاسي

بعد هذه العروض طالب بالتحدث في الندوة أساتذة آخرون لم يكونوا ضمن البرنامج نذكر من بينهم الأساتذة الأجلاء: محمد الفاسي الذي ذكر بالجانب الوطني من عمل الأستاذ كنون، وإبراهيم الكتاني الذي تحدث عن ذكرياته في مجال العمل الوطني مع المحتفل به، وعبد الكريم غلاب فتحدث عن المثقف الذي يعني الأديب بالاستعمال القديم وطبق ذلك على الأستاذ عبد الله كنون، ومحمد التاودي بنسودة عضو المجلس الأعلى للقضاء الذي تناول الجانب العلمي من حياة الأستاذ كنون، والحاج أحمد معنينو الذي تكلم عن بعض مواقف الأستاذ كنون الإسلامية والوطنية.

كما طالب غير هؤلاء بالكلمة، ولكن نظرا لضيق الوقت وقع الاكتفاء بالمناقشات التي أخذت أبعادا مختلفة من حياة الأستاذ كنون ومن موضوعات الثقافة والأدب واللغة العربية والنهضة الفكرية والحركة السلفية وتاريخ الوطنية بالمغرب.

وقبل البدء في الرد على المناقشات، تقدم الأستاذ كنون وارتجل كلمة قيمة شكر فيها المتحدثين وعلق على بعض ما جاء في عروضهم.

وكانت قاعة الندوة الفسيحة مزدانة بمعرض لمؤلفات الأستاذ وأبحاثه في العلم والتاريخ والأدب والدراسات الإسلامية واللغوية.

وانتهت الندوة على الساعة الثامنة مساء.

ندوة عن الأستاذ عبد الله كنون*

في محفل للفكر والثقافة انعقدت بمنزل الأستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي بتمارة وبدعوة منه ومن حرمه الدكتورة فاطمة الجامعي ندوة عن الأستاذ عبد الله كنون، وذلك على الساعة الثالثة والنصف مساء يوم السبت 21 يناير 1979.

وقد توارد على منزل الدكتور الحبابي زهاء مائة شخصية تمثل نخبة من الأدباء والمثقفين وسامي الموظفين بالمغرب، منهم بعض السفراء العرب وعدد من السيدات الأديبات والمثقفات.

افتتحت الندوة بكلمة تقديم للأستاذة فاطمة الجامعي، ثم تقدم الأستاذ مولاي مصطفى العلوي مدير دار الحديث الحسنية وتحدث في كلمته عن الأستاذ كنون وكتابه «**الرد القرآني على كتيب: هل يجوز الاعتقاد بالقرآن؟**» وهو المنشور تباعا بمجلة دعوة الحق، وطالب بأن تجمع فصوله وتطبع في كتاب ثم يترجم ذلك الكتاب إلى اللغات الأجنبية حتى تعم فائدته سائر المثقفين.

أما الأستاذ الشاعر علي الصقلي فقد تطرق للكلام عن الأستاذ كنون كشاعر وأديب، واستشهد بنماذج من ديوانه «**لوحات شعرية**» وتمنى أن لا يبقى هذا الديوان يتيما، فأجاب الأستاذ كنون بأن له أخا في الطريق إلى النشر إن شاء الله. ثم تقدم الأستاذ عبد الله الكتاني وتحدث عن الأستاذ كنون كإنسان وحلل شخصيته من هذه الناحية، واستشهد ببعض كلامه من النثر والشعر.

(*) **الميثاق** (صحيفة إسلامية للدعوة والتجديد تصدرها رابطة علماء المغرب) العدد 289، السنة 15، 1 ربيع الأول عام 1399، الموافق 30 يناير 1979، ص 7.

تكريم الأستاذ المجمعي عبد الله كنون*

أقامت الأستاذة فاطمة الجامعي ـ الحبابي حفلا تكريميا على شرف الأستاذ العلامة سيدي عبد الله كنون يوم 21 يناير 1979 في «ندوة» بتمارة. توارد على «ندوة» زهاء مائة شخص من نخبة رجالات الفكر والمثقفين وأعضاء جمعية الفلسفة بالمغرب، وأعضاء الندوة المغاربية وعدد من رجالات الصحافة.

تناولت، في بداية الحفل، الأخت فاطمة الكلمة فرحبت بالأستاذ كنون وشكرت الحاضرين على تلبيتهم الدعوة، ومما جاء في كلمتها:

«أيها الاخوة الأفاضل، هذا الاجتماع ليس تكريما للعلامة عبد الله كنون، ان عبد الله كنون هو الذي تفضل فجاء إلى «ندوة» تمارة ليكرمها ويكرم روادها، فشكرا جزيلا لأستاذنا الجليل. إنكم كثيرون هذا اليوم، لأننا جميعا نحب ونقدر أستاذنا الكبير، لن أجرؤ على تقديمه إليكم. لكن قد يكون من بين جيل طلاب الجامعة من لا يعرفون كل ما يجب ان يعرفوه عنه. فلهؤلاء أقول انظروا معرض كتبه الذي نظم من أجلكم، قوموا بسياحة قصيرة بين الصفحات قبل ان يتقدم الأخوة الأساتذة بعروضهم عن كنون العالم، والفقيه والأديب والرجل الأريب.. البرنامج هو:

- «عبد الله كنون الفقيه والعالم» للأستاذ مولاي مصطفى العلوي؛
- «كنون شاعرا وأديبا» للأستاذ مولاي علي الصقلي؛

(*) **دراسات فلسفية وأدبية**، مجلة جمعية الفلسفة بالمغرب، السلسلة الجديدة ـ العدد، 4، 1979 1980ص 97

- «كنون إنسانا» للأستاذ سيدي عبد الله الكامل الكتاني.

وقد اعتذر الأستاذ سيدي عبد الهادي التازي، الذي اضطر للغياب عن المغرب.

يتوسط الجماعة ذ. المجاهد المرحوم سيدي إبراهيم الكتاني

قبل أن يأخذ الإخوان الكلمة وتعقبها التدخلات والمناقشات، أرجوكم أن نقرأ الفاتحة ترحما على روح نبيلة ساقها المولى تعالى لجواره، وستكون هذه هي الندوة الأولى التي لا يحضرها عزيزنا الحاج أحمد بناني بعد أن كان أنعم الله عليه، من المتحمسين لندواتنا والمساهمين في النقاش».

بعد العروض، تدخل الأساتذة محمد الفاسي وعبد الكريم غلاب والتاودي ابن سودة والحاج أحمد معنينو وإبراهيم الكتاني وعبد المجيد السملالي، فنوهوا بآثار الأستاذ كنون كمؤلف ومجمعي وكمؤرخ للأدب المغربي. وفي نهاية الحفل، تقدم الأستاذ عبد الله كنون فألقى كلمة شكر فيها «ندوة» والمتحدثين، وعلق على بعض ما جاء في العروض.

تنوي «ندوة» نشر ملف التكريم

عبد الله كنون المثقف

الرباط ـ عبد الكريم غلاب

حينما نكرم عالما أديبا وشاعرا مناضلا كالأستاذ الجليل عبد الله كنون لا نكرم شخصا، ولكنا نكرم مجموعة من القيم ومجموعة الأعمال التي قدمها الشخص في حياته. والذين يختارون شخصا للتكريم إنما يختارون هذه القيم وهذه الأعمال ليقدموا لها نوعا من الاعتراف بالجميل لا تصحبه جائزة مادية كما تقوم بذلك لجان الجوائز، ولكنه اعتراف للواقع وللتاريخ بأن المحتفى بتكريمه أدى رسالة تستحق شهادة من الذين تلقوا هذه الرسالة وأحسنوا الاستفادة منها.

والأستاذ عبد الله كنون الذي نجتمع حوله لنعترف بأنه أدى الرسالة وأننا، والأجيال معنا وبعدنا، وعينا هذه الرسالة وأحسنا الاستفادة منها، كان طوال حياته من الذين يتحملون الرسالات ويؤدون واجبها. ولعله وجيله كان من المحظوظين في تاريخ هذه البلاد الذين وضعت بين أيديهم رسالة وطولبوا بأدائها. فالرسالات لا تكون دائمًا متاحة لكل الناس وفي جميع الحالات وفي جميع الأزمان، ولكنها منحة من الله يختار لها المخلصين من عباده، ويختار لهم الزمان والمكان ومسؤولية الرسالة.

وجيل عبد الله كنون من هؤلاء الذين حملهم الله هذه الرسالة فاختارهم واختار لهم ظروف أدائها فتحملوها وقاموا بأدائها خير قيام.

كثير من النـاس اعتبروا أنفسهم أشقياء حينما ولدوا مـع الاستعمار، وكان واقع المغـرب ينغض عليهم حيـاتهم ويصيب بعضهـم بالغم والكمـد إلى درجة الإحباط. وما دروا بأنهم كانوا محظوظين يوم ولـدوا ـ وفي المغرب بالذات ـ مع الاستعمار، أو في الوقت الـذي بلغ الاستعمار أعلى ذروته فسيطر على بـلادهم، ذلك أنهم لو وجـدوا في غير هذه الفترة من تاريـخ المغرب لكانوا في الغـالب، كما كان الكثيرون، مـن الذين يمر التـاريخ على رؤوسهم أو من تحت أرجلهـم فلا يصنعـونـه ولا يصنعهـم، لا يبصمونـه ببصماتهم ولا يترك فيهـم أثـرا. وتمر الأحداث بهم أو بدونهم، وتطـوي حياتهم الأيام، يرين عليهـم وعليها النسيان، ويصبح التاريخ حاضرا ثم مستقبلا. والمستقبل لا يذكر من الماضي إلا ما صنعه، فهو مقوم يتمتع باستقامة فكرية لا يحابي ولا يجامل ولا ينافق.

جيل عبد الله كنون وجد في مرحلة التحدي.

والاستعمار قمـة التحـدي لأنـه يستهـدف تغيير الهويـة، وسلـب السلطـة واحتلال الأرض، وتحويل مجرى الفكر، وسرقـة اللغة، وتهجين القيم، والسيطرة على الروح قبل الجسـد، واغتصاب الحرية، واستعباد الأحـرار، وتحريف المسيرة التاريخية نحـو طريق منحرف. وهذا مـا كان يريده بالمغـرب، فكان تحديا لهذه البلاد التي عاشت آلاف السنين معتزة بهويتها، بكل ما يطبع هذه الهوية من قيم وطنية ودينية وأخـلاقية ولغوية وعلمية وفنيـة وتاريخية. تحدي إذن خطير لم يكن الإنسان العادي ليشعر بفداحته. ولكن الـذين هيأهم الله ليحملوا رسالة في الحياة كـانوا أول الـذين شعـروا بهذا التحدي فواجهـوه بتحدي ممـاثل قـوامه باختصار الحفـاظ على الهوية بكل مضامينها. مـن هؤلاء الذين تحملوا الـرسالة من أدوهـا في الجبال وفي السهول وفي الصحـراء وفي المدن يتحدون النار بـالنار والمدفع بالمدفع والرشاش بالرشاش، ومنهم من دخلوا المسجد والمدرسة وخرجوا إلى الشارع أو التجـأوا إلى الصحيفة أو الكتـاب يواجهـون التحدي الاستعماري بالكلمةوبالتصحيـح وبتعبئة الجماهير وبالدعوة إلى العصيان، وبـوضـع السد في وجه التيار. وكـلا العملين كان له أثر في صـد التحدي بالتحدي وكـان له أثر في إفشال خطة التحدي الاستعماري.

وكان عبد الله كنون من هذه النخبة الثانية التي حملت الكلمة مسؤولية كبرى هي التحدي المضاد. وكان من الذين نجحوا في صد التحدي لأنه كان ممن يحملون الرسالة ويحسنون أداءها ويؤمنون بأثرها. ومن ثمة كان ميلاده هو وجيله مع الاستعمار نعمة يمكن أن تحسدهم عليها الأجيال السابقة واللاحقة.

ومن ثمة أرى أن الإنسان في عبد الله كنون لا يتمثل في الرجل الطيب ذي الأخلاق الفاضلة والودود البشوش المبتسم دائما المجامل دائما المعتز بكرامته المدافع عن شخصية العالم وعزة المثقف فحسب، ولكن الإنسان في عبد الله كنون هو أيضا صاحب الرسالة التي أداها فأحسن الأداء بعد أن تحملها دون أن يعيى بها عاتقه أو تضجر منها نفسه.

ويوم عرف أن والده هجر مدينته فرارا من أن يلوث عينيه بمناظر الاستعمار بذرت في نفسه بذرة الحرية فأخذ على نفسه أن يهب حياته للكفاح عن طريق الكلمة وعن طريق الفكر: فكر الفقيه العالم وكلمة الأديب الشاعر.

أن يكون الطالب فقيها في الوقت الذي بدأ فيه عبد الله كنون حياته العلمية فذلك ليس بغريب على الحياة الثقافية بالمغرب، فقد كانت الثقافة الفقهية ما تزال تزخر بها مراكز العلم في فاس ومراكش وبعض المدن الأخرى في الشمال والجنوب التي ينتمي العلماء فيها إلى مدرسة القرويين وابن يوسف، وأن يتجه الطالب إلى ثقافة والده الشيخ عبد الصمد كنون الفقهية، فذلك أيضا ليس بغريب، لأن الولد سر أبيه، ولأن العلماء في ذلك العصر كانوا يعملون على تنشئة أبنائهم على غرارهم في الغالب، وأن يكون الطالب أديبا يتعاطى من الكلمة شعرا ونثرا فذلك أيضا لم يكن غريبا في نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات، فقد كان بالمغرب مجموعة من الشيوخ يقولون الشعر، ومجموعة من المترسلين يحاولون أن يكتبوا أدبا منثورا، وكان مشهودا لهم بالبيان وبراعة الأسلوب. ثم كان المغرب قد بدأ يتفتح على المشرق وأخذت بعض المجلات والصحف العربية تفد على المغرب **كالهلال والمقتطف**، ومن حين لآخر جريدة **الأهرام**. وكانت إلى جانبها صحف ومجلات تفد من تونس ومن الجزائر: مجلة **الشهاب** الإصلاحية في مقدمتها. ثم كانت الكتب الأدبية التراثية والحديثة أخذت تفد من مصر وسوريا والعراق، فيها دواوين شعرية للبارودي وشوقي وحافظ ومطران والزهاوي

والرصافي والكاظمي. وكل ذلك منح الطلبة والمتأدبين ـ وكان عبد الله كنون من جملتهم ـ أمثلة تحتذى. ومن المؤكد أن المطبعة التي بعثت كثيرا من كتب الجاحظ والقالي والمعري والمتنبي وأبي تمام وابن الرومي، وقبلهم معلقات الجاهليين وشعر الإسلاميين، وضعت بين يدي الأدباء زادا ضخما من النماذج الأدبية الممتازة على غرار ما وضعت بين يدي الأدباء في مصر والشام والعراق وبقية بلاد المغرب العربي.

هذه هي المدرسة التي كونت المحتفى به الأستاذ عبد الله كنون.

ونعتقد أنها مدرسة واعدة، بل أصيلة. ولذلك لا نستغرب إذا رأيناه ـ ككثير من زملائه الذين كانوا في مثل سنه ـ يتأرجحون بين الشعر والنثر، في الوقت الذي لا يفرطون في ثقافتهم الأصيلة: دراسة القرآن والحديث والفقه وعلوم العربية. وكان عبد الله كنون نموذجا لهذه الثقافة الشاملة التي يتجاور فيها الفقيه مع الشاعر الأديب. وهي نموذج المدرسة الإسلامية التي لا تعترف بالتخصص الضيق: ابن سينا مثلا كان فيلسوفا وفقيها وطبيبا وشاعرا، وابن رشد الفقيه العالم الأديب الفيلسوف، وابن حزم الفقيه عالم الأديان وهو صاحب **طوق الحمامة**. وقس على ذلك الكثيرين.

كان جيل عبد الله كنون رمزا للمثقف بالمعنى الحقيقي الشامل للثقافة. السؤال الذي يمكن أن نطرحه: هل المغرب كان ـ آنذاك ـ في حاجة إلى مثقفين من نوع عبد الله كنون أم كان في حاجة إلى متخصصين في الفقه كما في الأدب، في العلوم التجريبية كما في الفلسفة؟

معادلة ربما كانت تنظيرية. ولكني أعتقد أن وضعية المغرب كانت تفرض أن يكون بالمغرب مثقفون لا متخصصون.

وأغامر لأقول: أن المثقف الشامل يمكن أن يقف من وضعية البلاد الثقافية والسياسية مثل الموقف الذي وقفه عبد الله كنون وعلال الفاسي والمختار السوسي وأحمد بلافريج وابن الحسن الوازني، والاختصاصي أو المختص يمكن أن يسرقه اختصاصه من بلاده. أولئك وقفوا متواضعين مع شعب بلادهم يناضلون في جبهات مختلفة: سياسية واجتماعية وتعليمية وفكرية. أنشأوا

المدارس، وقاوموا البدع والتخلف الاجتماعي والفكري، وناهضوا الظهير البربري، وطالبوا بمطالب الشعب المغربي، وارتقى بهم نضالهم إلى المطالبة بالاستقلال. وأسهموا في تأسيس المقاومة المسلحة وتنظيمها وتسييرها وفاوضوا من أجل الاستقلال والوحدة، ونادوا باسترجاع الصحراء وطالبوا بالديمقراطية ثم قاوموا الانحراف السياسي والديمقراطي... أرأيت لو كان جيلهم من المختصين والاختصاصيين، هل كانوا يقفون هذه المواقف النضالية التي يمسك بعضها برقاب بعض؟

أشك في ذلك. ثم إن جل هؤلاء الرواد وظفوا نضالهم في إعطاء مفهوم لثقافتهم: حينما يكتب عبد الله كنون **النبوغ المغربي** أو **مشاهير رجال المغرب** أو غيرهما من كتبه العديدة ومقالاته تشعر وأنت تقرأ هذا الإنتاج أنك أمام مناضل يناضل في واجهة الثقافة. فهو لا يكتب تاريخ الأدب العربي بالمغرب كباحث محايد، كما يكتب مغربي مثلا تاريخ الأدب اليوناني أو الفارسي، ولكنه محام يبدأ مرافعته بكلمتي «النبوغ المغربي». قد تكون مقولة قابلة للمناقشة، ولكنها تدعوك لأن تستمع إلى المرافعة ثم تحكم، بدلا من أن تحكم بأن المغرب لم يكن منتجا في الأدب كما كان يزعم الزاعمون. ولو لم يكن عبد الله كنون مناضلا لما كتب **النبوغ** ولا **مشاهير رجال المغرب** . هو إذن ليس قاضيا ولكنه محام.

بعض الاختصاصيين والمنطقيين منهم يقولون: إن العلم في غير حاجة إلى المحامي بمقدار ما هو في حاجة إلى القاضي. قد أسايرهم في هذه المقولة. ولكن حينما يكون المغرب موضع هجوم من «وكيل نيابة» (يتسم بما يصف به بعض المغاربة وكلاء النيابة: المغرق) وهو ليس وكيل نيابة واحد: «فلو كان سهما واحدا لا تقيته، ولكنه سهم وثان وثالث». كان هناك عديد من وكلاء النيابة بعضهم يؤيد استعماره للمغرب بمحاولة التنكر لكل تاريخه السياسي بل والثقافي والعلمي، وبعضهم يبرر جهله بمحاولة إلغاء هذه الجهة من العالم العربي من نطاق بحثه وعلمه، وبعضهم...، الأمر إذن يحتاج إلى محامين كبار من أمثال عبد الله كنون ليكتب **النبوغ المغربي** هكذا بصفة التحدي، وعلال الفاسي ليكتب: **النقد الذاتي** و **دفاع عن الشريعة** و **معركة اليوم والغد** ، والمختار السوسي ليكتب **المعسول** و **إيلغ** و **سوس العالمة** وغيرهم كثير.

هذه المقـولة تسلمنا إلى مقـولة أخـرى نستعير لـها تساؤلا معروفـا في عالم الأدب والفن: هل الثقافة للثقافة أم هي نضالية لإثبات الذات؟

لا أريد أن أدخـل معركة انتهت، على الأقـل فيما يتعلق بالأدب والفـن، ولكن أومن بأن الفكر المتحرك لا يمكن أن يجمد عند منطق الثقافة للثقافة. فلسنا نحن البشر ــ وبخاصــة في عـالمنـا الثالثـي ــ مـوكلين بالصــلاة في محراب الأفكـار التجـريديـة، لسنا رهبـان فكر وثقـافة محاصرة بين جـدران «المحراب»، ولكنـا موكلـون للنضال الفكري مـن أجل الفكر أولا، ومـن أجل تصحيح الانحـرافات الفكرية، ومن أجل الدفاع عن الذات وطرد «الإحباطات»، سواء جاءت من التاريخ أو من الحاضر، جاءت من ذاتنا أو من غيرنا.

لهذا كان عبد الله كنون مثقفا فاعلا مناضلا بالثقافة لإثبات الذات.

جاء في وقته، ولو كان غير عبد الله كنـون كما هو لكان متأخرا عن وقته أو متقدما عنه، وكلاهما شذوذ بالنسبة لتاريخ الفكر والثقافة والعلم.

بارك الله في عبد الله كنون. وبـارك فيما كتب. وأعتقد أن البركة موجودة في هذا الإنتاج الكثير الذي أغنى به الفكر المغربي والعربي.

عبد الله كنون
الأديب والعالم

الرباط ـ مصطفى بن أحمد العلوي

الحمد لله رب العالمين والعافية للمتقين، وصلى اللـه وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي المصطفى الكريم وعلى آله وصحابته أجمعين.

أيها السادة العلماء، إنه لشرف عظيم أن يقف الإنسان اليوم أمامكم مشاركا في حفل تكريم أستاذ نبيل وشريف كريم جليل حسيب.. هو العلامة الأمثل سيدي عبد الله كنون حفظه الله ورعاه.

وماذا يقول المرء في هذا الرجل العظيم، وهو الذي رفع من مقام أمته في ميدان العلم والأخلاق الفاضلة والشيم الكريمة؟ أليس هو الرجل الذي أزاح الضباب عما خلفه علماء أمته بما دبجته يراعته في غير ما كتاب ألفه، ولو لم يكتب إلا **النبوغ المغربي في الأدب العربي** لكفاه ذلك فخرا ومجدا.. هذا الكتاب الذي كشف فيه الأستاذ كنون عن مخبوء الخزائن العلمية في بلاده من علم غزير في الأدب والفقه والسياسة والتاريخ وسائر الفنون العربية الإسلامية مما تزخر به المكتبات العلمية العامة والخاصة، والتي كانت تنتظر من يفتح أبوابها ويدل الباحثين على ما فيها من كنوز علمية مما خلفه السلف من جهود بذلوها في تسجيل ما وصلت إليه مداركهم من علوم على اختلاف أنواعها ومراتبها لغة وأدباً وبلاغة ونحواً وفقهاً وتفسيراً وحديثاً وتاريخاً، وغير ذلك

مما تعتز به الأجيال الحاضرة ويرفع من شأنها ويضعها في مراتب الأمم المتقدمة علمًا وأدباً وأخلاقاً ويحقق نهضة فكريـة متميزة عن غيرها مستمسكة بما عرف عن سلفنا الصـالحين من دين وصلاح ممـا يحقق العزة والكرامـة والمجد في ظل تعاليـم الإسلام ومنهجـه المتكامـل في الحياة، ذلـك المنهج الـذي سلكه السلـف الصالحون وقادهـم على دربه العلماء الأعلام، والذي لا يمكن تحقيـق أهدافه إلا بإحياء ما اندرس أو كاد مما خلفوه من علوم ظلت مدفونة في الخزائن منذ قرون من تاريخ الإسلام في هذا البلد الأمين.

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ كنون في مقدمته كتابه **النبوغ المغربي** : «لما بحثت ونقبت وجدت كنوزاً عظيمة مـن أدب لا يقصر في مادته عن أدب أي قطر مـن الأقطار العـربية الأخـرى، ووجدت شخصيـات علمية وأدبيـة لها في مجال الإنتاج والتفكير مقام رفيع، ولكن الإهمال قـد عفى على ذلك كله، وعدم الاهتمام بجمعه في كتـاب، والتنبيه عليـه في خطاب أدى إلى وأده (دفنـه) فاحتـاج إلى من يبعثه، فشمرت على ساعد الجد (يقول الأستاذ حفظه الله) وأنا يافع لم يبقل بعد عارضي فتبعـت جميع ما وصلت إليـه يدي من آثـار أدبية مغربية، وأخبـار عن أدباء المغرب وعلمائه مما وقفت عليه في الكتـب والأوراق والمحافظ، أو تلقفته من أفواه المشايخ والأدباء، جمعته في كتاب **النبوغ المغربي في الأدب العربي** .

ومن عجيب ما سـاقه الأستاذ حفظه الله في مقدمة كتـابه ما نشرته **جريدة المغرب** بقلم مديـرها الأستاذ سعيد حجي رحمه اللـه عن كتاب **النبوغ** قال: «حادث خطير في تـاريخ المغـرب هو ظهـور كتاب **النبـوغ المغـربي في الأدب العربي** أول كتاب من نوعه، وأوفاه في موضوعه، وأنه خطوة عظيمة في تاريخ الفكر المغربي».

وعلق الأستاذ حجي على نبإ إعلان في مصر يومئذ عن جائزة 500 جنيه لمن يؤلـف عن الأدب العربي في مصر، ثم قـال: «من حسن الصـدف أن تهتم وزارة المعارف بإعلان الجائزة في نفس الوقت الذي صدر فيه كتاب **النبوغ** في نفس الموضوع، فيكـون المغرب أسبق في هـذا من مصر..». ويتساءل «فماذا كـان من

اهتمام إدارة العلوم والمعارف في المغرب، وبات الجواب في صدور قرار عسكري يمنع رواج كتاب **النبوغ المغربي** في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب ومعاقبة من تضبط عنده نسخة منه. ونشر البلاغ في **جريدة السعادة** يومئذ بعدد (4592)، وهي شهادة بأهمية الكتاب علمياً وسياسياً وثقافياً.. وجاء رد الفعل في منطقة الحماية الإسبانية أن ترجم الكتاب إلى اللغة الإسبانية وطبع ومنحت وزارة المعارف العمومية الإسبانية للأستاذ سيدي عبد الله كنون حفظه الله درجة (دكتوراه) شرف للآداب من جامعة مدريد وذلك بتاريخ 18 نونبر 1939م.

مجموعة من المشاركين يتوسطهم سفير المملكة العربية السعودية

أيها السادة الأكارم.. اسمحوا لي أن أسوق هنا بعض ما شهد به بعض علماء المشرق أيضا مما يزيد هذا الرجل المحتفى به اليوم شرفاً وتكريمًا، يقول أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله في كتاب **النبوغ المغربي** ومؤلفه السيد **عبد الله كنون** حفظه الله:

«إنه الكتاب الممتع الذي أخرجه للناس، فذا في بابه، السيد الشريف والعلامة الغطريف الأستاذ عبد الله كنون من مفاخر القطر المغربي في عصرنا الحالي».

ويقول:

«بعد أن طالعت هذا الكتاب الصغير حجمه، الكبير قدره كأني لم أعلم عن المغرب قليلا ولا كثيرا، وكدت أقول إن من لم يستطع الإطلاع على هذا الكتاب لا يحق له أن يدعي في تاريخ المغرب الأدبي علما».

ثم يقول شكيب أرسلان:

«أشار العلامة مؤلف كتاب **النبوغ المغربي** إلى أنه جمع فيه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة، وإلى تصويره الحياة الفكرية في المغرب من لدن الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا..»

ثم يقول:

«ولعمري إن من قرأ هذا الوعد الذي جزم به المؤلف اعتقد أنه بالغ فيه جدا، وحمل نفسه إدا، وزعم الإحاطة بموضوع تعجز عنه الجملة ولا تعنى به الكتب الجمة، إلا أنه عندما يقرأه يجد المؤلف قد وعد فأنجز وقرب الأقصى بلفظ موجز، وكان فعله محققا لقوله».

وأشار الأمير شكيب أرسلان في موضوع الثناء على الأستاذ كنون رحمه الله إلى مسألة دينية وسياسية اعتنى بها المؤلف وهي: «إسلام البربر» الذي كان قوة الإسلام في شمال إفريقيا والأندلس، وإلى الاندماج الكلي الذي تم بفضل العقيدة الإسلامية بين البربر والعرب في هذا البلد العظيم، وهو لا شك يشير إلى السياسة العنصرية التي أثارها الاستعمار بالظهير البربري الذي صدر سنة 1930، والذي كان الانطلاقة الكبرى للحركة الوطنية وقبل أن يتم للحماية بسط نفوذها على جنوبي المغرب. لأن هذا إنما تم سنة 1934م، وبعد إخفاق سياسة الظهير البربري المبني على العنصرية القبلية والتي محاها الإسلام بعقيدته وتعاليمه السماوية، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أيها السـادة.. أكتفي بهذا القـدر نظرا لضيـق الـوقت واللـه يحفظ الأسـتـاذ العلامـة سيدي عبـد الله كنون ويـزيده مـن توفيقه ويجازيـه عن أمتـه ودينه ووطنه أحسن الجزاء.

وشكرا للذين قاموا بالدعوة لهذا الحفل التكريمي، والذين شاركوا فيه.. والله من وراء القصد.

والسلام عليكم ورحمة الله.

كنون شاعراً وأديباً

الرباط ـ علي الصقلي

سيدي الأستاذ كنون،

أيها السادة.

مرة أخرى يطوقني الأخ الدكتور الحبابي بمنة لا أدري كيف أزجي له آيات الشكر عليها، إذ يأبى عليه لطفه وعطفه إلا أن يختارني من بين الزملاء لأتحدث

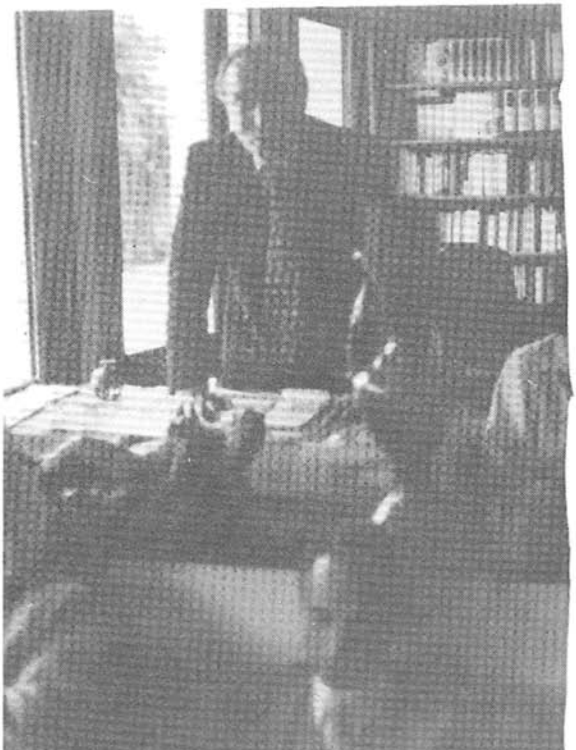

في موضـوع كنون الأديب، بعـد أن كنت تحدثـت، منذ حوالي عشر سنـوات بدار الفكر، بطلب منه أيضـا، في نفس الموضوع.

ولعل اختيار الأستاذ الحبابي وحرمه الدكتورة الفاضلة السيدة فاطمة الجامعي إياي لهذه المهمة آت من كونهما يعلمان علم يقين مدى إعجابي بأستاذنا الكبير وبأدبه، إن لم أقل بآدابه، هذا الإعجاب الذي تملكني منذ نعومة أظفاري، أي منذ فتحت عيني على عالم الكلمة في الشعر، في المقالة، في القصة، في البحث، في النقد، في الحديث، في الفقه، في التراجم والسير، في كل باب من أبواب المعرفة، دون أدنى مبالغة في القول، بل دون أدنى مبالغة في القول بأن الرجل جلى في كل ميدان خاضه، حتى كأنه من المتخصصين فيه، وحسبك دليلا على ذلك ما نشره أو حدث به، داخل البلاد وخارجها، وما أكثر منشوراته! وما أوفر أحاديثه! ولعله، دون أدنى مبالغة في القول أيضا، النموذج الوحيد في عصرنا هذا للأديب كما كان يعرف من قبل.

فالأديب، في عرف القدماء كما تعلمون، إنما هو المشارك في الفنون كلها، الذي ينتظم أدبه جميع أبواب المعرفة، بما فيها المعقول والمنقول، فهو واحد من أعلام الفقهاء، وهو عين من أعيان المحدثين، وهو، إلى جانب هؤلاء وأولئك، لغوي نحوي، بل هو ممن تستهويهم القوافي فيحلقون في أجوائها لاصطياد الطائر الشرود منها، وتستصبيهم الفكرة فيصوغونها في كلمات أشبه ما تكون بحبات العقد النفيس نقاء وصفاء، ورونقا وضياء.

لعلي في غنى عن تأكيد هذه الحقيقة التي هي من البداهة بحيث لا تحتاج إلى التدليل على أن أستاذنا، وكما ألمحت إلى ذلك في حديثي التكريمي السابق عنه، نسيج وحده في باب المشاركة التي عرفناها سمة لبعض أعلامنا الأولين، وافتقدناها في عصرنا الذي أصبح ينادي، بل يلح، على الأخذ بمبدإ التخصص، منكرا على الله ما اعترف له به القائل:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

كان أول عهدي بأستاذنا الكبير على صفحات جريدة وطنية يومية، لم يكن يومئذ لها مضارع من حيث بعدها عن الشبهات في العلاقة مع المستعمر، عرفته خائضا معركة أدبية ضارية، فعرفت فيه الرجل الذي ينطلق في مقارعته من

قواعد ثـابتة: عقل رزين لا يضطـرب أو ينبو لأتفه الأسباب، وأخـلاق كريمة لا تنزل إلى مستوى السوقة، فتراشق بكلمات بذيئة نابية، وعلم واسع مسعف يقيم الحجة الدامغة، ولا يكل عند الإقناع.

عرفتـه كذلك، منذ أزيـد من ثلاثين سنـة، ولما يشتد ساعدي، ويهيـأ لي من معارفي اللغوية والأدبية إلا أقل القليل، فتعلقته منذ ذلك الحين، وشغفت بأدبه في مختلف ألوانه وأشكاله، كما أعجبت به باحثا، وفقيها، ومحدثا.

وأينا لا يعجب بالأستاذ كنون كقمة أدبية في هذا البلد، وكرائد من رواد الفكر عندنا؟ أستغفر الله ما لي لا أقول على صعيـد العالم العربي الذي أصبح الأستاذ كنون خير سفير لنـا فيه، داخل محافله الأدبيـة، وتحت قباب مجامعه اللغـوية. عدت بهذه المناسبـة من جديد للاتصـال بالأستاذ كنون في بعـض آثاره الأدبية، وأنا هنا بصـدد الإشارة إليه ولا أقول الحديـث عنه كأديب فـوجدتني متنسما، كذي قبل، ذلك العبير الذي طـالما تنسمته من رياض أدبه في **لوحاته الشعرية،** وجدتني في نزهة جديدة أتنقل كالطائر المشوق من فنن إلى فنن ومن أيك لآخر.

وجدتني أتغنى معه بالطبيعة، مسحورا بمفاتنها، مبهورا بشتى ألوان الجمال فيها:

مـا حـلا في مـوقـع النظـر — مثـل بستـان على نهر
وغـديـر حفـه الشجـر — يـا سقـاه الغيـث مـن شجـر
كلما مـر النسيـم بـه — مـال في ميـس كـذي سكـر
ظلـت فيما بين منعـرج — مـن سبيليـه ومنحـدر
أتـروى مـن منـاهلـه — وأروض الفكـر بـالنظـر
صحـوة مـرت كطيـف كـرى — أو كلمـح المرء بـالبصر
بـرزت فيهـا الطبيعـة مـن — خـدرهـا مـوشيـة الطـرر
كعـروس راق منظـرهـا — بـالحلى والحسـن والخفـر
يتمنـى القلـب أغسلـه — بلجين منـه منهمـر
ولقـد زاد الصفـاء بـه — فحكـى البلـور للبصر
والحصـى في حـافتيـه كما — نيـط جيـد الغيـد بـالـدرر

ولم يخرجني من هذه الروضة الأنف التي أظلتني لحظة قصيرة ولكن جد ممتعة، إلا الشاعر متحدثا إلي في همس عن نفسه، حديثا أشهى من شدو البلابل، وأطيب من فيء الخمائل، إنه تعريف صادق للشاعر بنفسه، وتعبير رائع عن شعوره وحسه:

زعموه ذلك المضنى فما يفتأ المسكين يشكو ألما
يرسل الآهات تترى وهو لا يعرف الأوجاع الاكلما
ضل ما يزعمه الأقوام في رجل همته تغزو السما
أضحت الثورة من أوصافه وغدا الباس عليه علما
ورأوه فاتكا لا يأتلي يستحث الكأس بين الندما
يعبد الحسن ويغني عمره في هواه صاديا مغتلما

****

بئس رأي القوم لا كان الذي يحسب الشعر ضلالا وعمى
إنما الشعر منار وهدى ودعاء للمعالي... إنما
ونموه ضلة في عبقر إن في عبقر جنا ملهما
فهو السادر في أوهامه وهو الهائم مابين الحمى

****

ليست من عالمكم هذا الذي أضحت الأهواء فيه حكما
ليس من عالمكم لكنه ملك صور لحما ودما

نعم! الشاعر ملك صور من لحم ودم، وشأن الملك أن يأنف ويتأبى فهو حر كريم، بل هو أسمى رمز للحرية، وخير مثال للعزة والكرامة، ولذلك يجرح نفسه منظر المواطن الذي أكره على الانحناءة حتى تعودها، فالشاعر يراها علة العلل ولذلك يهيب بكل واحد منا قائلا:

أنظر له كيف انحنى ثم انثنى يا ويله
أمارنا إلى الذي أذله كيف ابتسم ؟
تود تركه ليستوي على قدم

ثم يصرخ بأقصى ما يملك من قوة صرخة يدوي صداها في أعماق المواطنين جميعاً. وبدعوة مـن هذه النفس الحرة الكريمة، التي تستهـوي الأحرار الكرماء، أجدني أغشى معبد الشـاعر ومهبط وحيه، إنها المكتبة التي تستبد بـأعز أوقاته وأغلاها، والتـي لها من القداسة في نفسه مـا يجعله يوصيك قبـل تخطي عتبتها قائلا:

إخلع النعـل واخفض الطـرف وامثل — بخشـــوع كـــراهـب عنـــد هيكـــل
هـا هنـــا معبـد عكـوفـك ســـاعـا — فيـه خير مـن نسـك عمـر وأفضـل
مهبـط الـوحـــي فـالملائك والـروح — حـــواليـــه كـــل حين، تنـــزل
تتجلى عـــــرائس الفكـــــر فيـــــه — تتصبـى مـن كـان بـالفكـر يحفـل
يجمـع المفكـــريـن والخطبـــاء اللـــ — ـــد والمصلحين مـــن عهـــد أول
يتبـــارون فيـــه، كـــل على ليـــلا — ه إمــــا تنصـــت لـــــه يتغـــزل
عـــالم واقـــع وإن كـــان غيبـــا — رب غيـب مـــن واقـع كـــان أمثـل
الـــرؤى والطيـــوف تهفـــو عليـــه — حـــومـا كـالطيـور للـوكـن تعجـل
والمعـــاني والشعـــر والسحـــر فيـــه — والأمــــاني أمـــام عينيـــك مثـــل

ولعمري إنها في بابها طرفة من أجمل ما مـر بي من الطرف الأدبية الرائعة، وواحدة من عيون الشعر العربي فيما تيسر لي قراءته والاستمتاع به.

وبعد، فهذا هو عبد الله كنون الشاعر، أو بالأحرى بعض من عبد الله كنون الشاعر، هذا فقـط قبس من نور كريم، ونفحات عطر شميـم، وحبذا لو لم يكن شاعـرنا مقـلا فأمتـع عشاق أدبـه بآيـات شعريـة أخرى، حتـى لا يقضي على **لوحات شعرية** باليتم، وحبذا لو كان له من الجولات في عالم الشعر مثل ما له في عالم النثـر، سيما وطاقته فيهما هي هي، لا تختلف في رأيـي بين الأمرين، ولا تفل لها شباة في كلا الميدانين.

هذا عبد الله كنون الشاعر. فمن هو عبد الله كنون الأديب الناثر؟

لعلكم لا تنتظرون مني جوابا على هذا السؤال، فما عساني أسوق هنا من شواهد لنثره الفني؟ وما عساني أقول عن الميادين التي جال فيها فجلى؟ والأغراض التي تناولها فنال فيها القدح المعلى؟

هي قصة عشرات السنين من الجهاد الدؤوب في عالم الكلمة، جهاد فكر وثاب، وقريحة فياضة، وقلم معطاء كريم، ودونك فرائده لتعلم أن هذه التحية المتواضعة ليست معدة للغوص في أبحر هذه، لا ولا للتحليق في سماء تلك، وإنما هي إشارة عابرة قصدنا بها تلمس بعض الفضل لأستاذنا الكبير، وعسى أن نكون قد أدينا بذلك بعض ما علينا، وعسى أن يتقبلها سيادته بقبول حسن.

عبد الله كنون الإنسان

الرباط ـ عبد الله الكامل الكتاني

إن إقامة ندوة تكريمية لأفاضل الرجال، في خضم أحداث العصر الغامرة، وبين عواصفها الحاجبة، ليعتبر عملا حميدا، وجهدا دؤوبا، يشدنا إلى الأصول الثابتة للثقافة والعلم برفق، ويعيدنا إلى مهاد الحضارة والتراث في سكينة وهدوء، إعادة لا نملك معها إلا أن ننطق بالثناء العاطر على الضيف الزائر الكريم والمضيفيْن الفاضليْن.

فلكل منهم الشكر الجميل والعرفان المتصل على أن أتاحوا لنا جميعا فرصة اللقاء والمذاكرة والقول.

ملامح الصورة

من أوائل الصور التي أعتز بالاحتفاظ بها لأستاذنا العلامة سيدي عبد الله كنون، منذ نيف وعشرين سنة خلت، صورة بديعة قدمها إلي، وأنا طالب حديث عهد بالجامعة في دمشق الشام، وأسارع لأفيد أن الصورة لم تكن رسما فوتوغرافيا له على غرار ما يتهادى في هذه الأيام، وإنما كانت رسما بيانيا لنفسه الفاضلة النبيلة التي بين جنبيه، علو همة، وكرم طبع، وسمو أخلاق، وكمال أدب، وحسن ثقافة، ورفعة مجد.

كان أن حدثه أحد إخوتي عن هجرتي لطلب العلم، وتعلقي بالتراث، فبعث إلي معه مجموعة فاخرة من مؤلفاته الثمينة، أذكر منها **كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي** ، و **تاريخ المغرب** ، و **التعاشيب** ، و **سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب** بلغت أجزاؤها خمسا وعشرين دراسة آنذاك (1957).

ولقد غمرتني سعادة ما بعدها سعادة وأنا أتلقى هذه الصورة البديعة التي زينت بزينتها عقلي، وعمرت بذخيرتها خزانة كتبي، وجعلت منها على الأخص، رمزا خالدا، ومثالا حيا، لما ينبغي أن يكون عليه المثقف الإنسان في هذه الحياة.

كانت تلك أول صلة لي بالرجل الإنسان.

ثم طفقت أنهل من معين كتاباته وبحوثه ودراساته ومنشوراته موضوعا وأسلوبا، أغني بها الفكر، وأثري بها مصادر الكتابة، وأشد بها الأزر في فقه اللغة والعلوم.

ولقد قرأت فيما قرأت في **واحة الفكر** ص: 3، هذه الكلمات:

«نفر من صخب الحياة وضوضائها، إلى صمت الطبيعة الحكيم وسكونها البليغ.

نفر من جلبة النهار إلى هدأة الليل، ومن ضغط الجو في المدينة إلى الهواء الطلق في القرية.

نفر من حمارة القيظ في الصحراء القاسية إلى حيث الظل الظليل والهواء العليل في الواحة الحنون.

فإذا أجهدنا الفكر، وأضجرنا النظر، وَسَطَا الخمول على نشاطنا العقلي، فإننا نفر إلى هذا الأدب فنحسن الجمام والمتعة والقوة».

فأحسست أن لصاحب هذه الكلمات شأنا في هذه الحياة، ورسالة في هذا الوجود ورأيا إنسانيا حصيفا في الأدب والأدباء.

لقد قيل «إن الأسلوب هو الرجل».

فرحت أبحث عن الرجل الإنسان من خلال أسلوبه وبين ثنايا كتاباته نثرا وشعرا.

إن جولة واحدة في عالم عبد الله كنون الفكري، لا تكفي لتحديد آفاق الإبداع العلمي والإحساس الفني عند الرجل، ولكن بضع جولات في عالمه الخصب، الزاخر بالعطاء والوفاء، المليء بالبحوث والدراسات، تمضي بالباحث المتتبع إلى

روائع من التراث، وحدائق من المعرفة، جديرة بحق أن يعاد عرضها على ناشئتنا من الشباب عرضا جديدا بواسطة وسائل الإعلام السمعية منها والبصرية في الإذاعات والتلفزات العربية والإسلامية تعريفا بالثقافة، ونشرا للروائع وتخليدا للتراث.

وهذه بعض ملامح الصورة المتبقية، أحاول رسمها من خلال جولة جديدة في كتابات الرجل ومؤلفاته ودراساته ومقالاته في الصحف والمجلات المشرقية والمغربية وبحوثه في المجامع والمؤتمرات.

ولعله من غير العسير على الباحث المتتبع أن يلاحظ ملامح الجدية وطابع الاستمرار ووحدة الشخصية فيما يكتبه لنا الرجل، إذ لا يكاد يخلو عدد من أعداد مجلة **دعوة الحق** أو **الإرشاد** أو **المناهل** من أحاديث قيمة ممتعة له وكأنه أخذ العهد على نفسه ألا يحرم قراءه من ركنه المعتاد في تلكم المجلات.

لقد أراد عبد الله كنون أن يظهر بما لا يقبل الشك مساهمة الأدب المغربي والمفكرين المغربيين في التراث الأدبي العربي والحضارة الإسلامية، فكانت كتاباته هادفة إلى ما أراد، كما أن طريقة التعبير عنده بما تتميز به من إشراقة وصفاء، وسلامة من العجمة، ومتانة في التركيب، أضحت الطابع الأصيل لأدباء المغرب عموما، وكانت مطمح آمالنا نحن الطلبة في مدارس ما قبل استقلال المغرب، ونود من الأعماق لو تبقى هذه الطريقة سبيل ناشئتنا إلى التعبير، ووسيلتهم إلى التفكير، ومثلا يربي عليه أساتذتنا الأجيال الصاعدة في المدارس والجامعات ومختلف المؤسسات الثقافية.

ومع ملامح من أسلوب الرجل دائما، تبدو لنا نقاوة هذا الأسلوب وسلاسته ووضوحه، وتدفقه واختصاره في غير ما لغو ولا تكثير، وموسوعيته المحيطة بدقائق الفروق اللغوية والاصطلاحية حين يحاول تأصيل «عامية المغرب» وفصحاه سواء بسواء.

ويمكن أن نعتبر تتبع زلات **المنجد في الآداب والعلوم** والكشف عن الأخطاء المبثوثة بين ثنايا صفحاته عملا جديرا بالتقدير نعتقد أن عبد الله كنون هو خير من جند نفسه لحمل تبعاته من أبناء العربية في عصرنا الحديث.

وتبدي لنا دراساته، الإنسان المحايد في غير ما تعصب حين يحاول استنباط الحقائق برفق وتتبعها في أمن وهدوء، وسيلته إلى ذلك نقاش لطيف أو حوار متواضع يفضي بك إلى القصد الذي يريد.

وهو في بحوثه يتوخى إنصاف العلماء والأدباء ونشر مزاياهم من خلال تحقيق آثارهم تحقيقاً علمياً في محاولة لإبراز فضلهم والدفاع عنهم ضد عاديات ومشاكسات الزمان.

لا تكاد تجد في تحقيقاته وتصويباته دعوى عريضة بالتفوق ولا استعراضا لعضلات العالم، بل إنك لتأنس إليه أنسك بالصديق الحميم من أي طبقة من طبقات المثقفين كنت.

وكم تعجبني هاهنا إشارته الإنسانية في إحدى دروسه الحسنية التي ألقيت بين يدي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في رمضان من عام 1395 حيث قال (ص: 20):

«ونقتصر بالإشارة إلى بعض معجزاته الواضحة.. تعليما لمن يسمع لا لمن حضر، فإن من حضر من أهل العلم، لا يحتاجون إلى تعليم».

وهي لعمري التفاتة شعبية موفقة يرتاح لها المستمع غير المثقف لما فيها من رعاية لجانبه وعناية بشأنه، ويرضى عنها المثقف غاية الرضى لما فيها من تواضع صادق جميل.

ولو أردت أن أمضي في الصورة أدقق في محاسنها لكان علي أن أعيد الجولة في تلك الآثار وأربط الصلة مرات ومرات مع ما كتب مما قرأت له أو لم أقرأ. ولكن جولة قصيرة في آثار الرجل الشعرية كفيلة بأن تكشف لنا مباشرة عن كثير من خبايا شخصية هذا الرجل الإنسان، فيفصح الشعر عما أشار إلى بعض بيانه النثر.

يقول في قصيدة في الوطن والسعي إلى التحرير:

أرى أنني إن لم أعد بسعادة ... على أمتي يا حسرتا مت مضطرا
وإني إذ حققت ما أبتغي لهم ... كفاني بأن حققته ثم لا فخرا
فيا وطني فلا بتُّ إلا محررا ... ويا أمتي لقيت في سعيك البر

فهو الواجب وكفى، وصوت الضمير، وما حب الأوطان إلا من الإيمان.

ثم يقول:

إذا قيل هيا للفضيلة: لم يكن ... ليسبقني من جد في نيلها السيرا
وفي طلبي للمجد دقت منيتي ... وما زلت استحلي لإدراكه المرا
ثباتي وحزمي واعتصامي بمبدئي ... ثلاثتها تكفي لأن أقهر الدهرا

وما نعرفه من تواضع الرجل وهمته العالية يجعلنا نميل إلى أن هذا مما يجري مجرى المثل، فالفضيلة مبتغاه، والمجد هدفه واعتصامه بالمبادئ سلاحه ضد عاديات الزمان، وهي مبادئ يعتنقها ويتصف بها اتصافا ويرسلها أسوة حسنة تقتدى، ومثلا حكيما يتبع.

واستمعوا معي إلى هذا الشاعر الإنسان :

قلب براه الوجد ... ونال منه الجهد
قد امتلا حنانا ... يستوعب الأكوانا
يرثى لوحش الغاب ... يضيق بالأسباب
فيغتذي مضطرا ... يسطو بحد ناب

وإن خبـــــا شهــــــاب أصـــــابـــــه اكتئـــــاب
كــــــأنما عليـــــــه قـــــد نــــزل المصــــاب
وكــــــم هفــــا للقــــرب مــــن قلــب كــل صــب
بلى وكـــــل قلــــــب بحـــــاجــــة لقلـــــب

ذلكم عبد الله كنـون الإنسان الذي واجه حضارة ونضالا وواجبـات فكرية، وطنية وإنسانيـة، جند نفسه لإحياء التراث المغربي العربي الإسـلامي، وتحقيق المخطوطـات الشعرية والنثـرية ونشرها ورصد حـركات الإصلاح والتجـديد في المشرق والمغرب، قـديما وحديثا، فاستنطـق النصوص بحكمة، واستـوحى أسرار التاريـخ من نصـوص ربما أهملهـا التاريخ لـولا همته العاليـة وصبره الدؤوب، أشرب قلبه الكبير حب العلم والأدب والتاريخ روحا ونصا، وعايش عصرا صعب فيه العيش، فكان الأسوة والمثل، وكان الرجل الإنسان.

غباوة السلطات الاستعمارية

الرباط ـ إبراهيم الكتاني

أتذكر أن أول لقاء لي مع صديقنا الزميل سيدي عبد الله كنون كان عام 1930، عندما كنا في غمرة حركة اللطيف في جامع القرويين ضد الظهير البربري التي استمرت مدة طويلة. في هذه الأثناء زار سيدي عبد الله فاس، فاستدعاه سيدي علال الفاسي رحمه الله في دار والده الذي كان تلميذاً لجده سيدي التهامي وزميلاً لوالده سيدي عبد الصمد رحمهم الله. وبالمناسبة استدعى

في الصورة فضيلة الفقيه القاضي سيدي التاودي بن سودة (في الوسط) وفي الأخير، على اليسار ذ. عبد القادر الحكاك، رحمهما الله.

سيدي علال أخلص أصدقائه، وهم المتحدث، وعبد العزيز بن إدريس رحمه الله، وبوشتى الجامعي أطال الله عمره، والهاشمي الفيلالي إن لم تخني الذاكرة، والعابد الفاسي.(1)

ومن طريف ما يحضرني الساعة، هو حدث حجز السلطات الاستعمارية لكتابك القيم **النبوغ المغربي** الذي قدمته هدية لإخوانك العلماء والأدباء الذين كانوا وقت صدوره بسجن عين مومن بفاس، حيث لم تمانع إدارة السجن من تمكين السجناء منه، دون أن تنتبه إلى أن الهيئة الاستعمارية الحاكمة قد منعته من الرواج بالمنطقة الفرنسية. ولا أدل على غباوتها من هذا الحدث.

---

1) **عقب سيدي عبد الله كنون قائلا: عندما كنت راجعا من فاس إلى طنجة أوقفني الفرنسيون في الحدود (عرباوة) وانتزعوا مني جواز سفري،وبقيت بدون جواز مدة طويلة قبل أن أستطيع استرجاعه.**

عبد الله كنون
سفيرنا إلى المشرق
قبل أن تفتح لنا سفارات

الرباط ـ عبد الهادي التازي

إلى الأستاذة الدكتورة فاطمة الجامعي الحبابي
ندوة 78 قدماء المغاربة، زنقة 4 تمارة ـ المغرب*

تحية تقدير وود

وبعد، فقد كنت سعيدا منذ البداية أن أتلقى دعوة (ندوة تمارة) لتكريم الأستاذ العالم الأخ عبد الله كنون، ومع أنني كنت على أهبة سفر لم تكن لي مندوحة عنه إلا أني مع ذلك عشت معكم وأنتم تعبرون ـ في بيتكم السعيد الرغيد ـ عن أريحية ما كان أجدرنا أن نحسن التعبير عنها إزاء رجالنا وأساتذتنا.

تمارة، 20/8/1982

(*) جوابا على الرسالة التالية:

سيادة الأستاذ الجليل سيدي عبد الهادي التازي

تحية طيبة مباركة.

لقد تعذر عليكم الحضور الفعلي للمساهمة في تكريم الأستاذ الجليل العلامة سيدي عبد الله كنون، في جلسة شاي (ندوة تمارة).

إذ يسعدني أن أبلغكم أنني أنوي إصدار كراسة تضم الكلمات التي ألقيت بهذا الصدد والمناقشات التي دارت بين الشخصيات التي تشرفت الندوة بحضورها، أرجو من فضيلتكم أن تمكنوني من كلمتكم حتى يتسنى نشرها ضمن الكتيب التكريمي لأستاذنا المفضال سيدي عبد الله كنون.

وتفضلوا، سيادة الأستاذ الجليل بقبول عبارات الشكر وكامل المودة.

فاطمة الجامعي الحبابي

إن اسم عبد الله كنون سيظل،لا محالة،ماثلا أمام أنظار كل الذين تناولوا كتابا مغربيا ليعرفوا شيئا عن بلادهم وكذلك الذين تناولوا قلما لهم ليعكسوا صورة المغرب أمام الذين يهمهم ذلك.

وإذا كان معظم المغاربة يقدرون فضل الأستاذ كنون على الحفاظ على الملامح الثقافية في بلادنا بما أصدره، منذ أن كان يافعا، فإن الذين يعيشون في المشرق لم يكن لهم من زاد يعرفهم بالمغرب غير العطاء الذي قدمه كنون، وهو عطاء نِعم العطاء! أقول لكم هذا كمواطن مغربي عاش خارج الوطن وكان يحتاج لبطاقة تعريف صحيحة يقدمها عن بلاده، فكان يجد في **سلسلات كنون** و **تعاشيبه** و **معاركه** و **واحة فكره** و **خله وبقله** و **عصفه وريحانه** و **أزهاره البرية** ... علاوة على **نبوغه** الذي كان سفيرنا إلى المشرق قبل أن تفتح لنا سفارات! كان يجد في كل ذلك ما يرضي الاستطلاع ويحقق المرام... لقد أكد لي فعلا أنه كان يقصد بتأليف كتابه **النبوغ** إلى أداء رسالة إلى إخواننا بالمشرق بعد أن كان يقرأ عن كتاباتهم عن المغرب ــ إن هم وجدوا مجالا للكتابة ــ .

وقد أتاحت لي الفرصة وأنا سفير لبلادي ببغداد أن أستمتع بزيارة قصيرة للأستاذ عبد الله كنون بمناسبة مشاركته، في أواخر نونبر 1965، في أعمال الدورة الثانية والثلاثين (لمجمع اللغة العربية).. التي افتتحت في قاعة الشعب ببغداد... وكانت مناسبة شاهدت فيها بملء عيني كيف تحول ذلك التقدير الذي كان للأستاذ من خلال آثاره... تحول إلى رؤية حقيقية عندما كان الأستاذ يملأ المجالس بفيض علمه، وواسع اطلاعه، فصدق الخَبر الخُبر، وعززت الرواية المشاهدة كما يقولون. لقد اكتشفت في الأستاذ عبد الله كنون مثال الإنسان الأريحي الألمعي الوفي... واكتشفت في الأستاذ جانبا من الجوانب المطرفة، ذلك جانب الدعابة والفكاهة والإحماض، وهو جانب يعبر عن التوازن في التفكير والحصافة في الرأي.

وقد كـان الحظ يسعدني بمرافقته في حضـور جلسات مجمع اللغة العـربية بالقـاهرة الذي يحتفـظ له أعضاؤه جميعهم بـالكثير من التقديـر والإكبار... كما كنت أشاركه في لقـاءات المجمع الملكي بعمان الذي كان يبرز فيه بما كـان يقدمه من بحـوث ذات طابع حضاري... والجميـل في أعمال كنون، أنها جميعها كـانت ترمي للتعريف بالمغرب وبالتراث العربي والإسلامي.. والجميل في تدخلات كنون أنه لا يحجم عـن التعبير عن رأيه متى ظهر له وجـه الصواب، لا يخاف في ذلك أحدا، ولا يخشى لوما وهو مع ذلك سريع العودة إذا ما اقتنع بوجهة نظر الذين يناقشونه...

إن لي الكثير مما أقوله عـن كنون ومن أجل ذلك فإني أشعـر بالتقصير وأنا أجدد الاعتذار عن عدم الحضور.

لكني مع ذلك أجد ديناً علي أن لا أغفل التنـويه مرة أخرى بشعوركم الطيب إزاء قوم من حقهم علينا أن نعترف لهم بالجميل وأن ننـوه بأفضالهم عن طريق مثل هذه الندوات التي تعيد إلى الذاكرة أخلاقا لنا عريقة أخذنا نكتشفها ـ لحسن الحظ ـ بمرور الأيام والشهور...

أرجو أن تتقبلوا تقديري وإكباري.

الرباط، في 12/ 9/ 1982

عبد الهادي التازي

تَحِيةُ وَامِق*

الرباط ـ علي الصقلي

أأقول : أنتَ البحرُ في تَزاخارِه   وكريم لؤلؤه، وفَيضِ غِمَارِهِ ؟
أأقول : أنتَ الغيْثُ أقبلتِ المنَى   ودنا الجَنَى ريَّانَ في مدرارِهِ ؟
أأقول : أنتَ الصبحُ أسفرَ ضاحكا   والخيرُ كلُّ الخير في إسفارِهِ ؟
أأقول : أنتَ الروضُ بَاكَرَه الحيا   فانهلَّ ذَوْبُ العطْرِ من أزهارِه ؟
أأقول : أنتَ الدَّوْحُ نَشَّرَ ظِلَّه   أمنا يحوم على حمى زوارِه ؟
أأقول : أنتَ الطود قد سَمَكَ السما   فرط العلى، والأرض مهد قراره ؟
أأقول : أنتَ النجم لألأ ثاقباً   فاشتارت الأحداق من أنوارِهِ ؟
أأقول : أنتَ الفضل سَحَّتْ مُزْنُه   فأصاب كلٌّ مِن جَدا آثارِهِ ؟
أأقول : أنتَ الحق حصحص نورُه   فجَلا الكنوزَ الغُرَّ من أسراره ؟
أأقول : أنتَ الطيب ثَارَ مُؤرَّجاً   فاهْتاجَتِ الأرواحُ عند مثارِه ؟
من كل هذا أنتَ، لا ! بل إنما   أنتَ اللباب القُحُّ، خَيْرُ خِيَارِه
في كل وادٍ هِمْتَ جَاوزتَ المدى   عَلَما يصولُ بنوره وبنارِه !

* * *

لو قِيلَ للعلم؛ انتسب أوْما إلى   كنونَ حتما، واحتمى بديارِه
لو قيل للأدبِ افتخرْ، أبِغير ما   قد خَطَّ كنونٌ عظيمُ فخاره ؟

(*) خص الأستاذ الشاعر الكبير علي الصقلي هذا العمل الذي نصدره اليوم تكريما وتأبينا للفقيد عبد الله كنون بهذه القصيدة التي، تفتقت بها قريحة شاعرنا إشادة بالعالم البحر والإنسان القدوة الفذ. فله كامل الامتنان وجميل العرفان على هذه الجوهرة الفريدة.

لـو قيــل للشرف الـرفيــعِ عمادُه ... أنـى وُلِـدْتَ ؟ لَقــالـت: طـَيَّ إزارِه

يا سَــيِّـدَ الأحـرار مثْلك مـَن حَمَى ... ورَعَى وصـان الشعـرَ من «أحراره»

وأقـام نـادي الفكـر مــن عَثـراتِـه ... مهما كبـا، ونضـَـا كثيـف غُبـَـارِه

ومشــى بـه نحوَ العلى، مستـوقـدا ... مـن بـُـرج حكمتـه سَنــي مَنـاَره

وكــذا رفعـتَ إلى الـذُّرى أقــدارَه ... آهٍ لـــه، لـــولاك، مـــن أقــدارِه !

ولكـــم شكـَا الضليـــلُ مِنـا ليلــَه ... وعلى يــديـكَ أضـــاءَ نـــورُ نهارِه

فمضى يَشقُّ الدربَ مـَوْطُودَ الُخطا ... متحلـــلا بــِكَ أنـــت مـــن أوزارِه

* * *

يـا شـاعـرا لـُذْنـا بـه لـَوْذَا القَطـا ... بـأعــزٍّ مـا يـــاويـهِ مـــن أوكـارِهِ

ولـو ان أجْنحـةَ المنـى قَصرُت بنـا ... عـــن أن نَطِيرَ إلى ذُرى أشعــــاره

هـــذي تحيـــةُ وامِقٍ مـــا إن لـــه ... إلاك مـن يـَرْضَى اعتنـاقَ شِعـَاره

كـلا ! ولا لِســوَاك طـــأطـأ رأســه ... لَم لا ؟ وأنـتَ الـرمـزُ عبَر مَسـَارِه

لـك فارِسَ الفـرسـانِ، غـايةُ حبـه ... وولائه، لـــك منتهــــى إكْبـــاره

ورعـاكَ للضـادِ اليتيمةِ مـَنْ رَعـى ... قَمـَر الـديـاجـِـر في عَلِـــيٍّ مـَدَارِه

(الخميس 6 / 11 / 1986)

العالم العربي
يؤبن عبد الله كنون

(9 يوليوز 1989)

أيـا هـــذا لقـد حَـــان الرحيـــلُ
وأنـتَ عــن الغـوايـــةِ لا تَحولُ
رِفـاقـُك قـد قَضـَــوْا فـَرْداً ففـردَا
وحَتْماً ســوف تَتْبَعُهـــم فُلـــول
تظـن الكتـــب ضَـاع وذَا بريـــدٌ
مُحـــال أن يَضَـلَّ لـــهُ رَسُـــول

شهادات حول الفقيد عبد الله كنون *

تمارة ـ محمد عزيز الحبابي

السلام على جمعنا المبارك الذي لحمت بين مجموع أفراده صدمات الظروف وعنفها، فزعزعت الأعماق. لقد أصبنا، هـذه الأسابيع الأخيرة،برزء جلل غاشم، ومتعدد الوجوه، أحزننا كثيرا وكثيرا آلمنا: لقد فقد وطننا العزيز نخبة عزيزة من أبنائه البررة الذين جندوا جهودا وطاقات، طـول حياتهم، خدمة للثقافة المغربية، إذ ساهموا بقسط وافر في تحريـك وتطوير ميادينهم الخاصة، فتبـوؤوا مكانات طلائعية لن ينساها لهم تاريخنا المعاصر.

(*) ألقيت هذه الكلمة في الحفـل التابيني الذي أقامته رابطـة علماء المغرب بطنجة يوم 25/10/1989.

هذا العرض مجرد شهادات أدلي بها لتعيننا على تصــور حقيقي وموضوعي عن فقيـدنا المغفـور له الأستـاذ عبد اللـه كنون، شهـادات التقطتها مـن الغرب والشرق، تقدم أن أدليت بها، بـاختصار، أمام الخالديـن عندما خصت أكـاديمية المملكة جلسـة للعزيزيـن، كنون وابا حنينـي، ثم أديتها ثـانية، منذ أيـام، خلال الأسبوع الثقافي بوزان، وأعيد الادلاء بها اليوم، شعـورا مني أن ذلك واجب نحو التاريخ المغربي الحي.

* * *

تربع عبد الله كنون فوق أطلس شامخ من الكتب والدراسات، وتوج القمة بـ **النبوغ المغربي** ، وكون أجيالا مـن الباحثين المعترفين بفضله وفضـائلـه. تبعه إلى دار الخلود فنـانان جليلان أثـرا في تكوين الـذوق المغربي، ورفعا مـن شأن الموسيقى والغنـاء عندنا، هما أحمد البيضاوي ذي رقـة الحاسة، وعبد الـوهاب أكومي المجدد والمجتهد.

كما فـارقنا عـالم مشارك امتـاز بسيم جنـود المعرفـة المخلصين الذيـن لا يفرقون بين التعلم والتعليم، فينفقون خير ما عندهم، فأفاد جمهرة من الدارسين من اطلاعه الجم، إنه الفقيه محمد التطواني.

وافتقدنـا، في نفس الحقبة، امحمـد ابا حنينـي المثقف الذي نسـق بحذق بين المعاصرة والأصـالة، وجنـد ثقافته المزدوجـة اليانعة، بـوداعة الطبـع وصدق في التعامل، وأنـاقة في المظهر، فكان مثـالا للأديب الحق، في كل معـاني أدب، ومثالا لرجل الدولة القدير.

كان ويليـام شيكسبير يشبه الحياة بمسرحيـة، يدخل الأشخـاص من وراء الستار، يقفون على الخشبـة ويقوم كل واحد بـدوره ثم يودع إلى الأبد. تـذكرني وفاة الكاتب المسرحي محمد المسكين بـالتشبيه الشكسبيري، لقد ألف مسرحيات جيدة، ثم ودعنا إلى الأبد في سن مبكرة دون أن ينهي دوره، فما ظهر حتى ودع.

* * *

اقتنع فقيدنا الجليل بأن إحياء التراث واجب، والتعرف على المعاصرة والتكيف معها واجب، وواجب كذلك، وبالأحرى، استثمار التراث في بناء المستقبل. لقد خاض جهادا ثقافيا بوعي السلفي المجدد والملتزم، لا يفصل الدين عن الدنيا، كما يفعل الجامدون. ألا ينتمي العالم الإسلامي إلى العالم الثالث، وهو يواجه عاصفة بلا وجه، في مسيرة بلا معالم؟

ألم يصبح التحدي مصيريا، وبسرعة مهولة تنتابها جدلية أزمات في تضخم متنام؟ كان رحمه الله حكيما يعلم أن التاريخ لا يمشي على خط واحد ومستقيم، فعلمنا ألا نقبل ما نحن عليه، بل أن نتجاوزه بحكمة نحو ما نطمح أن نكون: إننا نريد أن نكون أناسا لهم كرامة يقدسونها فيهم وفي غيرهم.

ولقد ركز فقيدنا العزيز حياته على قدسية الكرامة.

أيها الإخوة

إن كنون العالم معروف جدا، إلى حد أن اسمه أصبح الإسم المغربي الأكثر رواجا وشهرة في أوساط المجامع العربية، والجامعيين العرب، وبين المستشرقين الغربيين. أليس كنون مرجعا موثوقا به، وإن **النبوغ المغربي** ذخيرة لا غنى عنها لمن يهتمون بتأريخ الآداب المغربية، في الشرق وفي الغرب؟

كان عبد الله كنون واعيا بقيمة أعماله، ولكنه متواضع تواضعا جما، و «من تواضع لله رفعه». وبالفعل، إن القوم، بالداخل والخارج، يثنون على هذا التواضع، فرفع الله من شأن عالمنا، وأحبه الجميع لجهوده العلمي ولسلوكه وقناعته: لا طمع ولا مزاحمات من أجل الجاه والادعاء والحظوة، أو من أجل مال أو سمعة. الكل يأتيه طوعا، تقديرا لعلمه ولتضحياته من أجل نشر العلم.

أما من حيث الأخلاق، فكان يتسامح، حتى مع الحساد والحاقدين ولسان حاله يقول :

«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!». لذلك، في كل مؤتمر من مؤتمرات «رابطة العلماء»، كان رحمه الله يلح على التخلي عن الرئاسة فيلزمه المحبون

والمقدرون (وهم الأكثريـة) بعدم التنازل عن المهمة التي هي، في الـواقع، تكليف أكثر منها تشريف، فيتحمل العبء لأنـه ملتزم بخدمة العلم ورجاله، وبخدمـة الوطن. كان يكره التسابق على التظاهر والوظائف الرابحة. ورع وزهد مثاليان.

عينه، بعد الاستقلال، محمد الخامس رضي الله عنه، عاملا على طنجة. حكى لي بلجيكي لـه أموال تستثمر بـالمغرب، أنه مـا إن سمع رجال الأعمال الأجـانب بخبر تعيين الأستاذ كنـون حتى جمعوا أمـرهم في ندوة ليتبـاحثوا حول العـامل الجديد. قال أحدهم :

ـ «إنه رجل وديع وبلا تجربة سياسية، فمن السهل أن نتلاعب به».

وأضاف ثان :

ـ «إنـه ضعيف الحال، فـارغ الجيب، إذن، علينـا أن نقدم الهدايـا الضخمة لنشبعه ونشبع من معه، حتى التخمة».

وفي أول لقاء بالعامـل كنون علموا أنه رجل مبادئ وصرامـة، فرجعوا بخفي حنين... إنه مسلم، والإسلام قول وعمل.

قال العامل لرجال الأعمال من الجالية الغربية :

«إن طنجة بلدة اخترتموهـا فرحبت بكم، إنها جميلـة. ولنحافظ على جمالها، علينا أن نطهرها من الحانات ودور الليالي البيضاء والحمراء ومن القمار و...».

ودعت الجماعة العامل وهي حانقة حائرة، بعد أن اقتنعت أن الرجل رغم أنه فارغ الجيب، لا يرتشي...

ولعلمـه الجم، ولهذه الصرامة الأخـلاقيـة، تمتع بمحبـة النـاس في الداخـل والخارج. وها أمثلة على ذلك.

قبل افتتاح جلسـات مجمع اللغة العربية بالقـاهرة في أوائل الستينات، زرت الرئيس طه حسين في داره «رامتان». وبعد التحيات والترحيب جاء أول سؤال له:
ـ هل وصل سعادة الدكتور عبد الله كنون؟

سكت ثوان، ثم قال:

- إنه باحث دقيق، أجله كثيرا.

- وأنا كذلك أجله، كما يجله المغاربة، يا سيدي الدكتور.

فأضاف طه حسين، وهو يبتسم:

- تقولون في مراكش: «عالم دْيَـلْـنَا»، أليس كذلك؟

- نعم، لكن كنون ديالكم أيضا.

- يقينا. إن سعادة الدكتور كنون ديال مجموع العرب.

وتعرفت بعد أيام على نائب رئيس المجمع، المرحوم زكي المهندس فاستخبرني عن المغرب وأحوال الثقافة عندنا، وجرنا الحديث توا إلى التحدث عن عبد الله كنون، وأخذ زكي المهندس يثني عليه:

«كل بحوث سعادته تستحق الإعجاب. إنها دائما مفيدة وحجة. فسعادته علامة ودود، ومجمعي نبيل في معاملاته».

وكان برفقتنا على المائدة الأستاذ سعيد زايد، المدير العام للمجمع إذ ذاك، فصرح:

«إن البيه كنون عالم حقا، ويتصف بكل صفات العلماء، معاملاته طيبة ومواعيده مضبوطة، وهمته عالية».

ملأتني هذه التصريحات اعتزازا وافتخارا بأستاذنا كنون. وفي فرصة أخرى، أكد لي أمين المال بالمجمع، أن:

«سعادة البيه الشيخ كنون يمتاز بكرم النفس. إنه لا يتعبنا أبدا. وبمجرد ما ندفع له التعويضات، يسرع إلى توزيع تبرعات على موظفي المجمع الصغار» (الشواش، والسواق، والحملة...).

يحصل أن يصل الأستاذ كنون بيوم أو أكثر متأخرا عن افتتاح الدورة، فترى الأعضاء المصريين وغيرهم يسألون عن سبب تغيب حضرته... وعندما يدخل قاعة الجلسات، الجميع يبتسم له ويحييه ببشاشة وبإشارة من الرأس أو بوضع اليد على الجبين.

لا أريد أن أضيف شيئا إلى هذه الشهادات، وهي قليل من كثير، خصوصا وأن الوقت لا يسمح بسردها جميعا. إنها دالة فصيحة، كالابتسام الذي يشرق على محيا فقيدنا، ابتسام يريح المحاور. أما وقاره فينبىء عن جدية مطمئنة ووداعة وبراءة.

هكذا ينظر إلى أستاذنا في المشرق العربي، إنه محل تقدير عام ومتميز، لعلمه وخلقه.

ذ. كنون مع عباس حسن النحوي الأكبر في القرن العشرين والحبابي في جلسة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

ولما أسست أكاديمية المملكة المغربية، وقع اختيار صاحب الجلالة نصره الله، على كنون ليلقي الخطاب الافتتاحي باسم الأعضاء المقيمين، فلم يكن اختيارا اعتباطيا، بل لأن كنون يحمل لواء الثقافة المغربية، وهو لسان صدق نموذجي.

أيها الإخوة.

إحقاقا للواقع، أذكر أن معرفتي بعبد الله كنون بدأت منذ صباي، عرفته وأنا ما زلت في المدرسة الابتدائية.

قدم علينا من الرباط إلى فاس الأستاذ محمد بلعباس القباج حاملا معه كتابه **الأدب المغربي** وأهداه للوالد، فدفعني الفضول إلى أن أفتحه فرأيت فيه صورا، فسألت :

ما فيه يا عمي؟

- إنه شعر
- وما الشعر؟ وهذه الوجوه ماهي؟
- إنها صور الشعراء
- وما الشعراء؟
- إن الأناشيد التي تحفظها في المدرسة شعر، والذين وضعوها هم الشعراء.
- لكن هذه الوجوه ليست أناشيد!...
- لما أعود عندكم، مرة أخرى، ستكون قد كبرت فأشرح لك شرحا كاملا.

شعر! وجوه مجهولة! شعراء! إنه عالم غريب علي، ولكنني، من حين لآخر، كنت أفتح الكتاب، وأتفحص رموزه، دون أن أفهمها لأنها شعر، وأتفحص الوجوه وأحاول تهجي الأسماء التي تحتها. إنهم الشعراء. فعلقت بذاكرتي أسماء ووجوه، مثل أحمد النميشي، وبوجندار، وكنون، وعلال الفاسي... وبعد فترة، أصبحت للوجوه هوية إذ بدأت أسمي كل واحد منها باسمه.

وزارنا بالبيت، يوما، المرحوم محمد القري، ففرحت، وصرحت له :

- أنت عندي في هذا الكتاب. إني أعرفك. انظر، إنك هنا... أليست هذه هي لحيتك، وهذا شعرك؟ قل لي، يا سي الفقيه، هل تكتب غير هذه الأشياء؟

أجابني مخاطبي بأنه يكتب مسرحيات للتمثيل...

ـ آه! مسرحيات؟ كنت أظنك، أنت وجيرانك في هذا الكتاب، من العقلاء، فإذا أنتم تلعبون اطِيَطْـرُو كالأطفال!

أخـذ يوضــح لي أن المسرح ليس لعبـا. ولكننــي بقيت مصرا على أن القـري وكنون والبلغيثي والآخـرين يلعبون، يمثلون... إذن، ينقصـهم وقـار فقيه المسيد ووقار خطيب الجمعة...

ولما التحقت بثـانويـة مولاي إدريس بفـاس، وعرفـت معنى شعـر ومعنى مسرح، عاد احترام الـوجوه التـي في كتابي، وصرت كلما رأيـت اسم أحـدهم في صحيفة أو مجلة حاولت قراءة ما يكتبه، لأن بيننـا معرفة سابقة. كان عبد الله كنون كاتبـا مكثرا، فتكونت صداقـة بيني وبينه متينة، وهو بـالنسبة إلي مازال سوادا على بياض، فنما إعجابي به وتعاطفي معه.

وعندما رجعت من دراستي العليا بباريز، لفتت نظري مكانة عبد الله كنون في الثقافة المغربية وإثراءاته لها، ومدى مكانة حضوره المخصب بالمشرق العربي وبأوسـاط الاستشراق الغربي. إنها سمعـة لا يمكن مقـارنتها إلا بسمعـة عالم مغربي آخر من أقارب فقيدنا، هو محمد بنتاويت الطنجي، دفين تركيا.

وفي سنة 1962، وقد أصبحت مسـؤولا عن كلية الآداب والعلوم الإنسـانية، وصرت أعرف سيدي عبد الله كنون عن كثب، ارتأيت استقطاب خيرة الأساتذة، فكاتبت أستاذنـا كنون، لكن أشغاله الكثيرة لم تسمح له بتلبيـة الدعوة. فطلبت من خزانة الكلية اقتناء نسخ كثيرة من تآليفه الكثيرة، كما طالبت بإدخال بعض تلك الكتب في برنامج شعبة الآداب، عملا بالحكمة القائلة بأن «ما لا يدرك جله، لا يترك كله».

وصرت بدوري أنمي مكتبتي الخاصة بكتـب كنون، وأدمن على قراءة كنون، كلما قرأت كنون ازددت إكبارا له.

فكرت يوما :

«هذا الرجل العظيم، أسينتظر المغرب موته ليكرمه؟»

سألت زملائي بالمكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب عن رأيهم في سي عبد الله، فقاسموني تقديري لكنون. إذ ذاك اقترحت أن نكرمه بدار الفكر، المقر الرسمي لاتحاد الكتاب، فقبلت المبادرة بالإجماع ونفذت. آمن رفاقي بأن السي عبد الله ظاهرة مغربية انقلبت إلى ظاهرة عربية إسلامية، ومن هنا يصعب رصد مجموع مناجمه. إنه كنز فوق كنز، يهب الله فضله لمن يشاء.

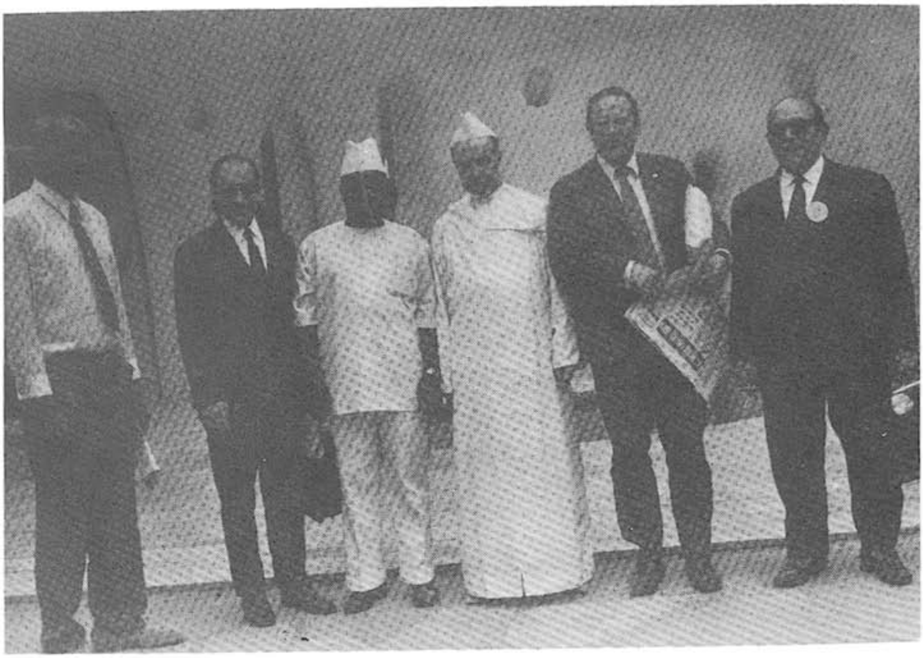

على يمين ذ. كنون الفيلسوفان، عثمان أمين (مصري) وعبد المجيد مزيان (جزائري)

عرف الأستاذ كنون تطورا دؤوبا في حياته، وكل مرحلة تواكب زيادة في المعرفة والتواضع، ولسانه يقول: «رب زدني علما!» ويطعم القديم بالجديد فيحصل تكامل الأصالة مع المعاصرة. توتر ومرونة متآنيان.

تلك بعض مزاياه الكبرى: النية الحسنة، والانطلاق من مبادئ قائمة على اقتناع، والغاية تحقيق قيم شمولية. إن نفوس النخبة دائما، في تجدد، أي في استمرار صقل وتطور يتجذران في الوجدان، صحبة ضمير يقظ أبدا.

لكل ذلك، تنتخب رابطة العلماء، في كل مؤتمراتها، كنون رئيسا ومرشدا وموجها، ولنفس الأسباب، انتخب فضيلته عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وبمجمع بغداد وبمجمع دمشق وفي عمان، فبات اسمه مقرونا بالبحث الجدي، والاطلاع في ميادين اللسان العربي، وفي شؤون الفقه وأصول التشريع والفتوى. فهو عضو نشيط برابطة العالم الإسلامي، والمؤتمر الإسلامي، وبغيرهما من الهيآت الإسلامية العليا.

فلا غرابة أن نراه يزهد فيما يتناحر الناس عليه، متزاحمين من أجل المظاهر والتظاهر.

كنون من القلائل الذين يحملون راية المغرب عاليا في الخارج. إنه يأتي، في الطليعة من حيث البحث العلمي والفقه واللغة، فهو حقا سفير لنا مشرف.

والآن، أتساءل: هل أَوْفَى الشاهد حق الشهادة؟

لو كان حبيبنا كنون حيا، لأخجلنا تواضعه، فسامحت نفسي أن أنصحه ألا يشكر منظمي هذا التأبين والمشاركين فيه، إذ علينا نحن جميعا أن نشكره لأنه خدم وطننا وأعطانا فرصة لنجتمع اليوم احتفاءا بالنبوغ المغربي وبالثقافة المغربية، فما فعلنا ونفعل إنما هو أضعف الإيمان بالنسبة لعالم مغربي غامر طيلة حياته لإخراج مواطنيه من الضلال والظلام.

إذن، لا شاكرا ولا مشكورا، الجميع يحاول أن يقوم بواجبه. فلنسر على بركة من الله، داعينه تعالى أن يشمل عزيزنا بالرحمة والغفران.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فانتثر الدمع بين الأخوين

الرباط ـ عبد العزيز بن عبد الله

كثيرا ما كنت أزور أخي وزميلي الأستاذ الكبير العلامة سيدي عبد الله كنون في منزله بالقصبة بطنجة، وكثيرا ما كنا نتبادل الزيارات ونتبادل المراسلات فكان كمؤمن يهتبل المناسبات للتعبير عن عطفه على أخ له يشاطره التشبع بروح الإسلام. ومازلت أذكر حدثين من جملة عشرات الأحداث التي تبلورت فيها هذه الوصلة الرصينة والمكينة بيني وبين فضيلته. كان يوما معنا في اللجنة الإستشارية لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي الذي كنت أديره آنذاك، وكان عضوا به يمثل المملكة المغربية، وكانت المناورات قد بدأت ضد مكتب التعريب الذي كان البعض يرى أنه يشكل أسيسة (assise) لا ثقافية وفكرية فقط، بل سياسية أيضا، لأن المكتب كان يستهدف إعادة الزعامة الفكرية من خلال تطوير اللغة العربية وجعلها أداة طبيعية في الحقل التكنولوجي والعلمي كما كانت دائما قبل اليوم بشهادة كبار المستشرقين الذين لم يكونوا دائما يكنون للعروبة والإسلام ما يستحقانه، وهذا العالم هو ماسنيون (Massignon) الذي أكد في تقديمه لكتابه «**المعجزة العربية**» (Le miracle arabe) بأن العلم عندما انطلق في أوربا انطلق باللغة العربية ومن خلال اللغة العربية، وأن المواصلات المستقبلية ستتحقق من خلال لغة الضاد. فكان موقف أخي العزيز عبد الله كنون ضد هذه المناورات يؤكد بأن المكتب

طاقة، وطاقــة مغربية وأن أعماله الإعجازية لا ينبغــي أن تكون سـببا في تنحيته لأغراض سياسـة.

وكان الحب الموصول بيني وبين سماحته قد بلغ مبلغا كبيرا تبلور في تقدير متبادل أبي زميلي العلامة المرحوم عبد الله كنون إلا أن يعبر عنه لا بالحال فقط، بل بـالمقال، عندما زرتــه يوما (أوائل السبعينـات) في منزله المذكور بـالقصبة، وكان قد ودعني ثم نادى علي بحماس المؤمن وقال:

«أخي عبد العزيز تعلمون ما قاله النبي ﷺ: «إذا أحببت شـخصا فأخبره بأنـك تحبه»، فاشـهد أخـي علي أنني أحبك».فانتثـر الدمع بين الأخويـن، وكان الدمع الأول للدمع الثاني الذي ذرفته ساخنا عندما نعي إلي.

جولة في فكر
عبد الله كنون

القاهرة ـ أحمد مهابة

في السادس من ذي الحجـة سنة 1410 هجرية، الموافـق للتاسع من يـوليو عام 1989 ، وفي مدينة طنجـة، عند مجمع البحرين، أفل نجم مـلأ الدنيا وشغل الناس بعلمه وفضلـه، هو العلامة، الفقيـه، الأديب، الشاعر، الصحفـي، اللغوي، المؤرخ، المناضـل الوطني، الأستاذ عبد الله بن عبـد الصمد بن التهامـي كنون، الذي كـان بحق أحـد الوجـوه اللامعـة للحركـة الإصلاحيـة السلفية والـوطنية والدستورية في المغـرب، حيث كان من الذين اشتركوا في تأسيـس الكتلة الوطنية الأولى، التي انبثقـت عنها جميع الأحـزاب السياسية المغربيـة بعد ذلك. وعنـدما توحدت بلاد المغرب بانضمام المنطقة الخليفية إلى المنطقة السلطانية عاد عبد الله كنون إلى طنجة، التـي كان قد غادرهـا أيام الأزمة السياسيـة، وعين حاكما لها، حيث نجـح في تصفية النظام الـدولي الذي كـان قائما آنذاك في طنجـة ، وربطها بالحكومة المغربية.

ولم يكن عبد الله كنـون مصلحا نظريا فحسب، يكتفي بأن يـدغدغ مشاعر المغاربـة ويحرك عواطفهم، وإنما كـان مصلحا يضرب المثل، ويجسـم النموذج، فأسس المعهد الديني بطنجة وتولى إدارته، كما أنشأ مدرسة حرة للبنين خرجت الكثير من المثقفين، وأصدر مجلة شهـرية باسم **لسان الدين** ، تعالج القضـايا السياسية والثقافية، كما أثرى عبد الله كنون المجامع اللغوية والعلمية في المشرق والمغـرب بالآراء النـافذة والأفكـار المتميـزة والأبحاث المدققـة، كما أثرى المكتبـة

العربية والإسلامية بالعشرات من الكتب تحقيقا وتأليفا، ترجم بعضها إلى اللغات الأجنبية، ونال عليها الدكتوراة الفخرية من الجامعة الإسبانية.

لقد كان عبد الله كنون أحد الحصون الشامخة التي تحصنت بها لغة الضاد في أيام محنتها، عندما داهمتها لغات المستعمرين البرتغاليين والإسبانيين والفرنسيين، لكن لغة الضاد صمدت للمحنة والامتحان بفضل رجال من أمثال عبد الله كنون، كان خير مثال لحديث النبي ﷺ: «أنت على ثغرة من ثغرات الإسلام فلا يؤتين من قبلك».

لذلك نذر عبد الله كنون نفسه وعلمه وقلمه، لدفع الخطر عن دينه ولغته ووحدة واستقلال بلاده، من ذلك مثلا اشتغال عبد الله كنون بقضية في غاية الأهمية والخطر، تلك هي حماية المسلمين في وطنهم من تلك الهجمة الشرسة التي شنها الاستعمار الغربي على العالم العربي مشرقه ومغربه، محاولا طمس حضارته ومسخ شريعته الحنيفية السمحاء، بما سماه «الحضارة الحديثة» في وجه ما سماه «بالتقاليد القديمة»، حتى أصاب من العرب والمسلمون مقتلا، جعل الإسلام بينهم غريبا كما بدأ، حيث أصبح الكتاب والمفكرون العرب والمسلمون يجعلون مظاهر المدنية الحديثة وقوانين الاجتماع العصرية هي مقياس النهوض والتقدم، ثم يعمدون إلى الشريعة الإسلامية ونظمها السياسية والدينية، لكي يوفقوا بينها وبين تلك المظاهر الحديثة، بدعوى أن بينهما وشيجة ونسب، ولحمة قربى، تجعل الفارق بينهما معدوما، وأصبح جل مرادهم أن يساير الإسلام ركب الحضارة الغربية الحديثة، ولا يتخلف عنها في شيء، في الوقت الذي يعتبر فيه عبد الله كنون بحق، أن الإسلام دعوة أسمى من أن تنزل إلى هذا الحضيض الأسفل، من مسايرة هذه المدنية الهلوك، وأن من حق الإسلام أن يحكم به ولا يحكم عليه. ويقول الراحل العظيم، إن الإسلام جاء ليصحح ما في الفكر المسيحي من انحراف، كما جاءت النصرانية لتصحح ما في الفكر اليهودي من انحراف، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**﴾ إذ يرى عبد الله كنون أن

الاستدلال على أن الأديان الثلاثة، والذي يؤكد أن أصلها واحد ونابعة من عين واحدة، هو ما لا يعوز باحثا في أصول الدين، ويكفي المسلم في ذلك قوله تعالى: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**.

ويخلص عبد الله كنون إلى أن كل طعن موجه إلى الإسلام وشريعته هو أيضا طعن على النصرانية وعلى الشريعة اليهودية التي أثبتتها النصرانية ولم تنقص منها شيئا، مستشهدا بقول المسيح عليه السلام: «ما جئت لأنقض الناموس، الحق أقول لكم، إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس»، والمقصود بالناموس هنا هو الشريعة الإسلامية.

وينتقد عبد الله كنون الذين ذهبوا يلتمسون المعاذير والمخارج بعد أن ركزوا الدفاع على أصالة المدنية الحديثة وسلامتها من كل عيب، فمثلا إذا عرض الكلام للمرأة في الإسلام وجاءت مسألة تعدد الزوجات، ومسألة الطلاق، ترى الأقلام تتبارى في رد هذه الوصمة وتبرئة ساحة الإسلام منها، فمن قائل أن القرآن لم يبح التعدد مطلقا، ومن قائل أنه مقيد بقيود شديدة، أما الطلاق فمنهم من يجعل له شروطا وقيودا ما أنزل الله بها من سلطان، ومنهم من يدعو إلى إبطال أنواع منه، ومنهم من يدعي عدم وقوعه في كثير من الأحوال، ليوافق هذا المدنية الحديثة المثالية في نظرهم.

كذلك يسفه عبد الله كنون محاولات الذين يقرنون الزكاة بالمذاهب الاشتراكية التي يرون فيها المثل الأعلى للعدالة الاجتماعية وتحقيق المساواة بين البشر، ويجعلون منها النموذج الذي يقيسون الإسلام عليه، وسبحان الله فإنه لم تمض عدة سنوات على ما قاله عبد الله كنون، وعدة أشهر على وفاته، حتى رأينا أرباب الاشتراكية الحديثة يلعن بعضهم بعضا، ويضرب بعضهم وجوه بعض، ويفرون زرافات ووحدانا من سجنها الرهيب ونظامها الشمولي ودكتاتوريتها العنيفة، إلى رحاب الحرية، وذلك بعد أن خر عليهم السقف من فوقهم، وتساقطوا كأعجاز نخل خاوية، بعد أن عاشوا ردحا من الزمن يلهثون وراء سراب خادع بقيعة، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا. وهو

نفس الشيء الـذي يأخـذه عبد اللـه كنون على المتحمسين والمدافعين عـن المذاهب السياسيـة ونظم الحكم والديمقـراطية، حيث أدان عبـد الله كنون كتابنـا العرب المسلمين الذين أشادوا بموافقة الإسلام لهذه المذاهب والنظم والديمقراطية الغربية وجريانه على سننها، وكم قارنوا بينها وطبقوا من جزئياتها ليقولوا إنهما توأمان لا يختلفان.

ولا يعني ذلك أن عبد اللـه كنون يرضى بالتخلف أو يـدعو إليه، ويشكك في التطور أو ينفـر منه، أو يثبـط همم المسلمين عن فـلاحة الأرض وإعمار الكـون وتطويـر البيئة وترقيـة حياة الإنسان، بـل على العكس مـن ذلك، فإن عبـد الله كنون يرى أن الإسلام بوصفه آخر الأديان لم يحفل إلا بأصول المسائل وأمهات القواعد التي يكون عليها المدار، وتبقى ببقاء الزمان لا تتغير ولا تتبدل، لأنها من سنن الكون **﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾**.

أمـا الجزئيات والتفـاصيل التـي تختلف بـاختلاف الـزمان والمكـان والحال والاعتبـار، فقد وكلهـا الله سبحـانـه وتعالى إلى أنظـار الأمـة، تقدرهـا بقدرهـا وبضرورتها وبمصالح الناس المرسلة، وتقضي فيها حسـب ظروفها، نفيا للحرج عن الناس وجـريا على ناموس التطـور الذي لا محيد عنه، وهـذا سر من أسرار العظمة الإلهيـة التي أودعها شريعتـه السمحة الغـراء، وجعلها بذلـك قادرة على مجاراة كـل عصر، وقـابلـة للتطبيـق في كـل مصر ومستـوعبـة لكـل حضـارة، ومستسيغة لكل تطور بناء. ويدلل عبد اللـه كنون على ذلك بأنه إذا كان العلم لا يفيد في ميـادين العمل ومجالات الابتكار التـي تُـبْنى عليها حياة الأمـم وأصبح الأمـر مجرد نفايـات وقشور يتشـدق بها المغـرورون ويظنون أنهم ملكـوا بها ناصية الأمور، فـإن مثل هذا العلم والجهل صنوان لا يفترقـان. ويرى كنون أن العلم الـذي لم يفد الأمـة، حتى في صنـع الورق الـذي تكتب عليـه آيات كتـابها المقدس، والإبرة التـي تخيط بها ملابسها، وأعواد الكبريـت التي تضرم بها النار، علم هذا شأنه، لا يقال له علم، والأمة التي تعجز عن إنتاج هذه الأشياء البسيطة، وما هـو أبسط منها، أمـة لم تستروح للعلم رائحـة بعد، ولا جسدت لـه معنى،

فأصبحت على ما نراها عليه من فقر في الصنائع والعلوم الضرورية للحياة، كالطب والهندسة وما إلى ذلك.

والإسلام هو الذي حض على طلب العلم ولو في الصين، وجعل «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وكما يقول النبي: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء»، «ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع».

بل إن عبد الله كنون يرى أن العالم إذا ما انزوى في بيته وانقبض عن الناس ولم يفكر في النفع ولا حام حول ذلك الحمى، فإنه والجاهل سواء، إن لم يكن أسوأ حالا منه، ولم يعد بنا حاجة إلى تسميتهم وهم كثر، ولكنهم غثاء كغثاء السيل لم يرفع بهم الوطن رأسا، ولا حصل على حظ من إصلاح ديني ولا دنيوي.

ومن هنا يرى عبد الله كنون أن الإعجاب بثقافة الغرب سد منافذ التفكير على هذا الجيل وقادهم للتقليد الأعمى لجميع مظاهر الحياة عند الغربيين، وهو ما سجله الفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته، حين تحدث عن ولع المغلوب بتقليد الغالب وأعطى أمثلة على ذلك مما صار إليه حال المسلمين في الأندلس، بعد القلة والذلة وتنبأ بمصيرها. ويرى عبد الله كنون أن حالة الإسلام اليوم هي أقبح مما كانت عليه في الأندلس، وقد لا يطرد المسلمون من أرضهم، كما طردوا من الأندلس، ولكن يطرد المسلمون من حظيرة دينهم، وأن ينسلخوا من ربقة الإسلام ورابطته شيئا فشيئا، حتى لا يبقى بيدهم إلا هذه القوميات الضيقة التي هي إلى التقاطع أقرب منها إلى التواصل، فيحارب بعضهم بعضا مع الأجانب أو بدونهم، ويظلون يسبحون في فلك المستعمر وإن جلي عن أرضهم.

ولقد ضرب عبد الله كنون بباع طويل ويراع نافد وفكر ثاقب في مجال التجديد للفكر الإسلامي، تطبيقا لقول النبي -ﷺ- في حديثه الشريف: «يبعث

الله لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها أمر دينها»،إذ يعتبر العلامة عبد الله كنون أن التجديد أمر من صميم الدين الإسلامي، عند انقراض الراسخين في العلم من أهل القرن السابق وافتقار أهل القرن اللاحق إلى من يؤدي لهم الأمانة، ويميز عبد الله كنون بين المجدد والمجتهد، فيرى أنه لا يشترط في المجدد أن يكون مجتهدا، لأن المجدد لا يهمه استنباط الأحكام وتفريع المسائل بقدر ما يهمه المحافظة على شعائر الدين وتقرير شرائعه. أما المجتهد فهو فقيه أكثر منه مجددا، ولذلك فإن التجديد عند عبد الله كنون أوسع دائرة وأبلغ أثرا في إحياء معالم الدين، كذلك يرى أن المجدد لا يشترط فيه أن يكون حاكما له نفوذ وسلطان، كما كان شأن خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز، وإنما المجتهد عند عبد الله كنون هو داعية ديني من الطراز الأول، لديه من وسائل الإقناع وطرق التبليغ ما يغني عن النفوذ والسلطان، وإن ذلك هو مضمون الحديث الشريف الذي يجعل به النبي ـﷺـ من العلماء حراسا على ميراثه وميراث الأنبياء من قبله، إذ يقول ـﷺـ: «يحمل هذا العلم من كل خلف أعداء له ينفون عنه تحريف الضالين وامتحان المبطلين وتأويل الجاهلين».

ويعتبر العلامة عبد الله كنون أن للتجديد غايات ثلاثة، الأولى هي رد النصوص التي يحرفها الغلاة من أهل البدع إلى أصلها، والثانية هي دحض التأويلات الفاسدة التي يتخذها الجهال بحكمة التشريع ذريعة لنقض معالم الإسلام، والثالثة هي إبطال الدعاوي الكاذبة وفضح الذين يلبسون الحق بالباطل. هذه الغايات الثلاث هي التي يتمثل فيها عمل المجدد الذي يريد أن يعود الدين على يده غضا طريا كما أنزل، والمحافظة على جوهر الدين من أن يطرأ عليه أي تغيير.

ويعتبر عبد الله كنون أن السيد جمال الدين الأفغاني، هو المجدد الذي بعثه الله على رأس المائة سنة التي عاش فيها، لأن صيحته المدوية في المسلمين هي التي أيقظت النائم، ونبهت الغافل، وهو الذي دعا ملوك وزعماء المسلمين في مصر

وتركيا والهند إلى الاتحاد لمجابهة الخطر الداهم. ويرى أن إصلاح المسلمين يتم في صلاح حكامهم، وأن الشرق لا يصلحه إلا مستبد عادل يعتمد على السلطة والعدل مع شورى أهل الحل والعقد.

ويرى عبد الله كنون أن الذي حمل لواء الإصلاح الديني بعد جمال الدين الأفغاني هو الإمام الشيخ محمد عبده، وإن كان عبد الله كنون يرى أن الشيخ محمد عبده يميل في بعض المسائل إلى التأويل الذي يقول أنه أحدث في الفكر الإسلامي فرجة لم تسد بعد، لكن كنون لم يقدم أمثلة لذلك، ثم يضع بعد الشيخ محمد عبده، السيد محمد رشيد رضا، ثم الأمير شكيب أرسلان.

أما في مجال الإصلاح السياسي فيرى عبد الله كنون أن عبد الرحمن الكواكبي هو خليفة جمال الدين الأفغاني، وإن لم يكن في نفس قوته، ثم يأتي في نهاية السلسلة الأستاذ محمد فريد وجدي، الذي يقول عبد الله كنون أن كتابه **الإسلام دين خالد** من أهم الكتب التي وضعت في العصر الحديث للتعريف بالإسلام.

وكمصري لابد أن أنفعل وأتأثر بمكانة مصر ومنزلتها عند عبد الله كنون، حيث كان يرى فيها، إذا تغاضينا عن انتقاداته اللاذعة لبعض أفلامها السينمائية، أنها رائدة العالمين العربي والإسلامي بأزهرها الشريف ومحاكمها الشريعية، وقضاتها المسلمون الذي يحكمون بالشرع. كما يرى أن بمصر أعظم المطابع الموجودة في العالم لطبع كتب الفقه والحديث والتفسير، ويعتبر مصحف فؤاد، هو أحسن وأفضل طبعة للقرآن الكريم من حيث الجودة في الطبع والدقة في الرسم. كما يسجل عبد الله كنون لمصر أن صوتها كان هو الصوت المدوي في أول مؤتمر انعقد من أجل فلسطين، في وقت كان فيه كثير من الأقطار العربية يتحفظون إزاء المسألة الفلسطينية تحفظا كبيرا.

رحم الله عبد الله كنون ونفع العرب والمسلمين بعلمه وأسكنه فسيح جناته.

عبد الله كنون ونبوغه المبكر *

دمشق ـ عدنان الخطيب

1 ـ مدينة فاس عاصمة المغرب الأقصى

بعد أن سقطت مدينة اشبيلية، وخبا الإشعاع في الأندلس، أصبحت مدينة فاس حاضرة الإسلام في المغرب العربي، وأضحت قبلة أنظار طلاب العلم من سائر بلدان المغرب ومن أقطار إسلامية عديدة.

وعُرفت في فاس، بيوتات علم كثيرة، كما اشتهر فيها رجال بلغوا القمة في علوم القرآن والحديث واللغة. وكان طلاب العلم يشدون إليها الرحال، للإفادة من علمائها، وللتزود بإجازاتهم والتفاخر بعلو أسانيدهم.

وكان من أشهر بيوتات العلم في فاس بيت كنون، وحسبنا دليلا على هذا ما سجله التاريخ لأحد أبناء هذا البيت الأفذاذ محمد الشهير بابن المدني كنون.

2 ـ محمد بن المدني كنون

قال الفقيه ابن المختار التاشفيني في تاريخه وهو يترجم لابن المدني ما نصه: «ألف تأليفا ذكر فيه أشياخه، وذكر فيه سلالتهم في الحديث إلى الإمام البخاري، وفي الفقه إلى الإمام مالك، وفي النحو إلى سيبويه وهكذا، ومن أراده فليراجعه»[1].

(*) ألقيت في الجلسة العلنية لتابين المغفور له الأستاذ عبد الله كنون بمجمع اللغة العربية بالقاهرة خلال المؤتمر السنوي للمجمع، الدورة السادسة والخمسون، أبريل 1990.

(1) نقلا من كتاب فهرس الفهارس، ص 497، الطبعة الثانية، بيروت 1982.

وقال أبو الإسعاد بن أبي المكارم الحسني الإدريسي في فهارسه وهو يترجم لابن كنون: «كنون بالكاف المعقودة: هو شيخ الجماعة بفاس العلامة المطلع، الصاعقة الطائر الصيت، صاحب التآليف الكثيرة الذائعة أبو عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون الفاسي من أولاد كنون الذين يسكنون بفاس»[2].

وترجم له الزركلي في الأعلام فقال: «محمد بن المدني جنون، أبو عبد الله المستاري أصلا[3]، الفاسي مولدا وقرارا ووفاة: فقيه مالكي، من رجال الإصلاح الديني.

أصله من بني (مستارة) يتصل نسبه بالأدارسة[4]. كان رأس علماء المغرب في القرن الثالث عشر. مفتيا، محدثا، لغويا، قوالا للحق، نزيها، دؤوبا على نشر العلم والإرشاد والنهي عن البدع، وأوذي بسبب ذلك وسجن، فاعتصبت الطلبة وقامت قيامة الجمهور فأطلق سراحه.

قال الحجوي: «كان شديدا على أهل الطرق، وما لهم من البدع التي شوهت جمال الدين، والمتصوفة أصحاب الدعاوى التي تكذبها الأحوال، وما كان أحد يقدر على الرد عليه...»[5].

3 ـ أسرة المدني بن كنون تهاجر من فاس

عاش المدني بن كنون وأسرته، وفيها كثير من العلماء الأجلاء، في مدينة فاس وفيها كانت قبورهم، والمغرب يومئذ دولة مستقلة ذات سيادة، فلما كانت سنة 1330 للهجرة الموافقة لسنة 1912 ميلادية، ضاع استقلال المغرب باحتلال

(2) انظر ص. 498 من فهرس الفهارس، المرجع السابق ذكره.

(3) المستاري نسبة إلى قبيلة بني مستارة الجبلية بقرب مدينة وزان، ويقال بني مسارة بتشديد السين وحذف التاء، وينسب إليها كذلك. وهو الجاري على الألسن ـ في المغرب ـ (عن شخصيات مغربية لعبد الله كنون).

(4) نسبة إلى ادريس بن عبد الله حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة. وكان هرب من المدينة سنة 169 هجرية ولجأ إلى إسحاق أمير البربر وهناك قام بالدعوة لنفسه خالعا طاعة الرشيد فبايعته القبائل وتم له الأمر عام 172هـ.

(5) انظر الأعلام، ص 313، من الطبعة الثالثة والمصادر التي أخذ عنها.

جيوش فرنسية أراضيه بدعوى حمايته(6)، فضاقت فاس بهذا الاحتلال الغاشم، واسودت الدنيا في عيون الكثيرين من أبنائها الميامين، وكان الأحياء من بني كنون في جملتهم، فعزم كل من عبد الصمد ومحمد ابني التهامي وحفيدي العلامة المدني على الهجرة إلى دمشق من بلاد الشام.

بدأ الأخوان عبد الصمد ومحمد رحلة الهجرة مصطحبين أسرتيهما وكانت أسرة عبد الصمد تحمل طفلا لم يتم السادسة من عمره، وتوقف المهاجرون سنة 1914م في مدينة طنجة على شاطيء البحر المحيط ليواصلوا رحلتهم نحو البحر الأبيض، ومن ثم إلى الثغر الشامي الذي ينتهي بهم في دمشق.

وحدث والمهاجرون في مدينة طنجة، أن حالت الحرب العالمية التي اندلعت في تلك السنة دون سفرهم، فحلوا رباط السفر واتخذوا طنجة موطن إقامة إلى أن تسنح لهم الظروف بالسفر.

وطالت إقامة المهاجرين المؤقتة بامتداد الحرب، فإذا بطنجة تغدو مستقر الأسرة الدائم، وفيها عاشت وفيها شب الطفل وترعرع، وفيها لمع نجمه وفيها كان مثواه الأخير.

4 ـ عبد الله كنون في طنجة

كان الطفل الذي حمله أبوه، المهاجر من المغرب إلى بلاد الشام وتوقف به في مدينة طنجة، هو فقيد مجمع اللغة العربية، الزميل الصديق والعلامة الكبير عبد الله كنون.

ولد فقيدنا في مدينة فاس يوم السبت في الثلاثين من شعبان سنة 1326 للهجرة الموافق ليوم في أيلول (سبتمبر) سنة 1908 للميلاد.

---

(6) كانت الدول الأوروبية ذات النزعة الاستعمارية قد توصلت بعد مساومات كثيرة إلى الاتفاق في مؤتمر أكادير سنة 1911 م على اقتسام المغرب العربي بين فرنسا واسبانيا، وجعلت مدينة طنجة دولية، وذلك 1912م.

استرد المغرب سيادته سنة 1956 م، وأعلنت الدول إلغاء تدويل طنجة وإعادتها إلى السيادة المغربية, 29 / 10،/1956م وانضم المغرب إلى الأمم المتحدة في 12/11/1956.

واختار الله عز وجل عبد الله كنون إلى جواره يوم الأحد في السادس من ذي الحجة سنة 1409 للهجرة الموافق للتاسع من تموز (يوليو) سنة 1989 للميلاد، وهو في الثالثة والثمانين من حياته الحافلة بكل مفيد نافع، العطرة بأريج الإخلاص والتفاني في خدمة العروبة والإسلام، يزينها الخلق الحسن، ويجملها الكرم والبذل السخي.

أجزل الله ثواب عبد الله كنون، وتغمده بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان.

5 ـ عبد الله كنون العالم النحرير

بدأ عبد الله كنون بتلقي العلم في البيت على والده، وخير صورة عن هذه البداية كانت بقلمه في سيرة ذاتية استهلها بقوله: «كانت سني ست سنوات حين انتقلت مع والدي رحمه الله إلى طنجة، وكان ينوي هو وعمي العلامة المرحوم الشيخ محمد الهجرة إلى الشام، ولكن إعلان الحرب العظمى الأولى حال دون ذلك. وقد نشأت بطنجة حيث حفظت القرآن الكريم، وزاولت قراءة العلم على مشايخ عدة، وأكثرهم والدي الشيخ عبد الصمد. وكان مجال دراستي ينحصر في علوم العربية والفقه والحديث والتفسير. وأما الأدب فقد تعاطيته هواية»[7].

وكان مما حفظه الفقيد في صباه، وتأكدنا منه بالتحدث معه وسماع حواره مع أنداده من العلماء كثير من الأحاديث النبوية والمتون القديمة والنصوص اللغوية والنحوية الأصلية حتى بعض شروحها وحواشيها الثانوية. فلما يفع أخذ يدمدم بالشعر حتى أجاد نظمه وهو دون العشرين من عمره بسنوات.

ولكن كيف بلغ عبد الله كنون منزلة كبار العلماء في سن صغيرة، قل من العلماء من بلغها وهو في تلك السن؟

(7) من السيرة الذاتية كتبها الفقيد بيده وهي محفوظة في ملفه الشخصي بمجمع دمشق.

وما الذي كتبه أو ألفه أو أهله لتبوأ المكانة التي احتلها لا في المغرب فحسب، بل في المشرق أيضا، لا بل في العالمين العربي والإسلامي قاطبة؟

لكي نجيب على هـذه التساؤلات، لابد لنا من تسجيل الخطوات الهامة، التي خطاها فقيدنا الكبير، واحدة فواحدة.

وسنبدأ بأولى خطواته المرموقة، وهو دون الثلاثين من حياته المديدة.

6 ـ الفقيد في العشرينات من عمره

ما انتصف عقد العشرينات من عمر عبد الله كنون، حتى كان قد احتل في المغرب وفي المشرق على السواء مكانة الأديب المتفتح والصحفي النشيط والشاعر الموهوب، وذلك بفضل كتاباته المتتابعة ومقالاته المتتالية في صحف المغرب وحتى في صحف ومجلات المشرق من جهة، وبفضل زياراته المتعددة لبلاد المشرق. وإنشائه علاقات ودية وصداقات حميمة مع كثير من علماء وأدباء ورجال الإعلام في البلاد التي زارها، أو تعرف عليهم فيها، ثم بالمداومة على مراسلتهم وتلقي أجوبتهم ورسائلهم.

واشتهر الفقيد بسعة المعلومات وكثرة المحفوظات، والدقة في رواية الحوادث التاريخية، ومعرفة الخفايا السياسية المعاصرة. كما اشتهر بولعه في اقتناء الكتب وبذل المال لشرائها، حتى تكونت لديه مكتبة خاصة، قل نظيرها بين مكتبات كبار العلماء والأدباء والمؤرخين[8]

7 ـ مؤلف فذ وصدى رائع

في الثلاثينات من هذا القرن الميلادي، كان فقيدنا في العشرينات من عمره، فإذا به يغذي المكتبة العربية بكتاب فذ عنون له بـ **النبوغ المغربي في الأدب العربي.**

---

(8) كان الفقيد رحمه الله قبل وفاته بخمس سنوات حبس مكتبته الخاصة على مدينة طنجة وهي تضم ألوفا من الكتب القيمة والنادرة، وقد تم افتتاحها باسمه في شارع عمر بن العاص رقم 9 بطنجة.

كان الفقيد يألم إذ يرى من عرفهم أو قرأ لهم من علماء وأدباء المشرق العربي قليلي الاطلاع وضعيفي التحدث وفاقدي الاهتمام بعلماء وأدباء المغرب الأقصى من الوطن العربي، وحتى أخبار المغرب السياسية ما كانت تحظى باهتمام المشارقة اهتمامهم بسواها من أخبار الدول العربية أو المسلمة، بينما وجد أبطال المشرق قد نالوا حقهم من التمجيد والذكر الحسن في المشرق والمغرب على السواء.

قال عبد الله كنون: «كثر عتب الأدباء في المغرب على إخوانهم في المشرق لتجاهلهم إياهم، وإنكار كثير منهم لكثير من مزاياهم، ولكن أعظم اللوم في هذا مردود على أولئك، ضيعوا أنفسهم وأهملوا ماضيهم وحاضرهم، حتى أوقعوا الغير في الجهل بهم والتقول عليهم...»[9]

أخذ عبد الله كنون من عتبه هذا على عرب المشرق حافزا له على توسعة أنابيشه فيما يقرأ من كتب التاريخ والأدب والعلوم المختلفة، إلى أن تكونت لديه صورة واضحة المعالم عن الحياة الفكرية لموطنه المغرب وتطورها في العصور المختلفة، من لدن الفتح العربي الأول إلى العهد الحديث، وما طرأ عليها من نشاط وفتور.

وبدأ فقيدنا يكتب ويسجل ما نبشه جامعا بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة، يعرض كل ذلك عرضا ممتعا ويبسطه بلغة سهلة أحسن بسط فإذا بها كل البلاغة، ويتكون من كل ذلك كتاب يكاد يكون فذا في بابه، محتويا بين دفتيه، على أدب مغربي رائع، كان خبيئا في باطن كتب التاريخ وزوايا كتب السير والتراجم، محتويا على جملة وافرة من تراجم الملوك والوزراء والقواد والفاتحين والعلماء والأدباء والفقهاء، حتى المتصوفة وغيرهم من الرجال.

صدر هذا الكتاب سنة 1938 في جزئين مطبوعا بالأحرف العربية في مدينة تطوان - وتطوان مدينة مغربية أصيلة، كانت تحت الحكم الإسباني - صدر

---

(9) من مقدمة الطبعة الأولى لكتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي الصادر في مدينة تطوان سنة 1357 هجرية الموافقة لسنة 1938 ميلادية.

الكتاب فإذا له، في دنيا العلم والحضارة ثلاث ضجات متفاوتات في المعنى والدافع: ضجة كانت في الشمال، وضجة حدثت في الجنوب، وضجة عمت المشرق بأسره.

وسنتحدث عن كل ضجة على حدة فيما يلي:

8 ـ المستعمرون ملة واحدة وإن اختلفت سياستهم وتفاوت فهم رجالهم لحقوق الإنسان

كانت ضجة بلاد الشمال رائعة حقا، إذ تلقفت الكتاب تلقف الظمآن للماء بعد أن ترجم وظهر باللغة الإسبانية[10]، فاعتمده العلامة الألماني كارل بروكلمان في ملاحق كتابه عن تاريخ الأدب العربي، وأشاد به العلامة الإيطالي جيوفاني بيانكي، كما اعتمدته أكثر الجامعات الأوربية مرجعا لطلاب العربية فيها.

وما لبث الفقيد إلا قليلا حتى تلقى رسالة من وزارة الخارجية الإسبانية مؤرخة في 18 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1939 تعلمه فيها بأن وزارة المعارف الإسبانية منحته درجة دكتوراه شرف في الآداب من جامعة مدريد بمناسبة صدور كتاب **النبوغ المغربي** في ترجمته الإسبانية، وأضافت وزارة الخارجية بأنها تدعو فقيدنا إلى زيارة إسبانيا لمدة شهر ضيفا على الحكومة الإسبانية.

كان هذا كله في المنطقة الخليفية من المغرب الأقصى[11] بفضل التفتح الإسباني في السياسة والإدارة، أما في المنطقة السلطانية الخاضعة للحماية الفرنسية، فكانت الضجة مخزية سوداء، إذ ظهر فيها عقب ظهور كتاب **النبوغ المغربي** في المنطقة الخليفية، تمجيد به ودعوة إلى اقتنائه، وما هي إلا أيام

---

(10) ترجم الكتاب إلى الإسبانية بمعرفة الأستاذين حبرو نيموكريوا وردونييز ومحمد تاج الدين بوزيد.

(11) كانت بلاد المغرب الأقصى مجزأة بحسب العرف الدولي إلى منطقتين شمالية تخضع للسيادة الإسبانية ويطلق عليها اسم المنطقة الخليفية، ومنطقة جنوبية تخضع للسيادة الفرنسية ويطلق عليها اسم المنطقة السلطانية بينما كانت طنجة دولية ذات نظام دولي.

معدودات حتى صدر قرار عسكري يمنع تـداول الكتاب وينص على معاقبة من تضبط عنـده نسخة منـه، وكان نـص ما نشرتـه جريـدة السعادة لسـان حال حكومـة الحماية الفرنسية تحت عنـوان «بلاغ عسكري: أصدر سعـادة الجنرال خليفة سعـادة القائد الأعلى للجنـود بالنيـابة، أمـرا يقضي بمنع الكتـاب المعنون **بالنبـوغ المغربي في الأدب العـربي** الصـادر باللغـة العربيـة في تطوان مـن الدخول إلى المنطقة الفـرنسية بالمغرب الأقصى وكذلك بيعه وعـرضه وتوزيعه، ومن خالف ذلك يعاقب بمقتضى القوانين المقررة».[12]

9 ـ ضجة المشرق كلها تقدير وثناء واعتزاز

كان لصدور كتاب **النبوغ المغربي** في المشرق العربي ضجـة كبرى نشأت من قوة التعـريف به وشدة الثناء على مؤلفـه وبالغ التقدير لدوافعـه إلى تأليفه. وحسب الفقيد الجليل وحسب التقدير النـزيه والتقييم الرائع لهذا الكتاب العظيم ما نشره تعريفا به أمير البيان في المشرق الأمير شكيب أرسلان.[13]

كان أمير البيان في عرضه وتحليله لكتاب الفقيد وقد أصدره في شرخ شبابه، ناقـدا مثاليـا فقد أشار إلى أن المؤلـف جمع في كتابـه بين كل مـن العلم والأدب والسياسة، وأشاد أمير البيان بتصوير المؤلـف للحياة الفكرية في المغرب من يوم الفتح الإسـلامي إلى يـوم الناس هـذا، مبينا أن مثـل هذه الإحـاطة تعجـز عنها الجملـة، ولا تفي بها الكتـب الجمة، وقـال عن المؤلـف إنه «مـزج في كتابـه بين الحركات الفكرية والحركات السياسية مزجا عجيبا حقق الصلة الطبيعية التي لا تكـاد تنفك في كـل دور من أدوار الأمـم بين العلم والسيـاسة، بحيـث لا يرقـى الواحد منها إلا إذا رقي الآخر برقيه...».

(12) كان النشر في جريـدة السعادة في عددها ذي الـرقم 4592. نقلا عن صفحة 9 من مقدمة الكتاب في طبعته الثانية السابق ذكرها.

(13) نشر الأمير شكيب عرضـا وتحليلا للكتاب حين صـدوره سنة 1939 في صحيفـة الوحدة المغـربية الصادرة في تطوان في العـددين 224 و234 المؤرخين في 4 صفر و26 ربيع الثاني سنة 1360 عن الطبعة الثانية للكتاب الصادرة في بيروت سنة 1961.

وأبدى أمير البيان إعجابه ببراعة مؤلف الكتاب، فالمطالع له: «لا يكاد تشكل عليه فيه مسألة، ولا يستعجم موضوع، ولا يفتقر مقام إلى مقال. وهو مع هذا كله من الكتب المختصرة، فكأنما أراد به صاحبه لا مثالا للتاريخ فحسب، بل مثالا للبلاغة»(14).

ثم أشار أمير البيان إلى القضايا التي شغل بها المؤلف ذهن القارئ، مثل خفاء الأدب المغربي عن إخوانهم في المشرق وأسبابه ومبرراته، ومثل سرعة دخول الشعب البربري في الإسلام وحسن بلائه في الدفاع عنه وصيرورته به أقرب إلى العرب من العرب بعضهم إلى بعض، ذاكرا أن مثار النزاع بين الطرفين في تاريخهم الطويل لم يكن إلا بسبب استبداد العرب بوجوه المنافع واستئثارهم بمناصب الدولة.

وعندما أبدى أمير البيان تقديره الفائق لكتاب الفقيد العظيم كاد أن يقول: «إن من لم يطلع على هذا الكتاب لا يحق له أن يدعي في تاريخ المغرب الأدبي علما، ولا أن يصدر على حركاته الفكرية حكما». وكما قيل في كتاب: «نفح الطيب» للعلامة المقري: «إن كتاب **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،** وكلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب الذي من لم يقرأه فليس بأديب، يمكن أن يقال: إن من لم يقرأ كتاب «**النبوغ المغربي في الأدب العربي**» فليس على طائل من تاريخ المغرب العلمي والأدبي والسياسي، بل هذا الكتاب أجدر بالإطلاق الشامل من كتاب «**نفح الطيب**» في موضوعه، وذلك لأن **نفح الطيب** على جلالة قدره حشر بين دفتيه غثا وسمينا، وعاليا ونازلا، وأطال حيث ينبغي الاختصار وأوجز حيث النفوس تشتاق إلى الإطالة والإكثار. وأيضا فقد يكون الرجل أديبا ولم يقرأ «**نفح الطيب**» فأما «**النبوغ المغربي في الأدب العربي**» فهو خلاصة منخولة وزبدة ممخوضة استخلصها صاحبها من مئات الكتب المصنفة وألوف الأحاديث التي لقفها من أفواه العلماء الذين أخذ عنهم، وقلما رأيت مؤلفا جمع المعنى الكبير في اللفظ القليل، وجاء في ضمن 250 صفحة

---

(14) انظر ص. 17و18 من مقدمة الطبعة الثانية من الكتاب.

بالعريض الطويل، في درجة هذا التـأليف الذي هو ثمرة تحقيق وتدقيق ودرس عميق، لم يخرج إلى قراء العربية أحسن منه في بابه». [15]

10 ـ عبد الله كنون عضو مجمع اللغة العربية

هذه قصة «**النبوغ المغربي**»، وكان ظهوره قد تحقق في فقيدنا الجليل حين انتصفت العشرينـات من سـن حياتـه، ولما اكتهل وسمـت به خبرتـه وازدادت معارفه ومعرفتـه وتألق نجمه، بادر مجمع اللغة العـربية إلى ضمه إلى صفوف أعضائه العاملين في خدمة الفصحى والدفاع عن سلامة أصولها فكان خير عامل معهم على تحقيق أهدافهم النبيلة وخير مساعد لهم على بلوغ غاياتهم السامية.

لقد ساهـم فقيدنا في مؤتمرات المجمـع السنوية مساهمة قيمـة، سجلتها له محاضر الجلسات، ونشرت في المجلة أو في كتب البحوث، إلى جانب ما كان يرفد به المكتبة العربية من كتب حققها أو ألفها، بلغت بضع عشرات عددا كما وردت الإشارة إليها وتسميتها في كلمة الزميل الكبير عبد الهادي التازي.

وأنا اليوم لست في معرض الترجمة للفقيد حتى أذكـر مراحل حياته، وأعدد صفحات نضاله، أو أصف ما لاقاه من عنت وإرهاق في سبيل الدفاع عن حرية الإنسان واستقلال الـوطن الغالي وحق صـاحب العرش الشرعي، إذ لكـل مقام مقال.

رحم الله الفقيد وأسبغ عليه واسع رضـوانه، وأطال عمر زملائه وإخوانه، وصدق أجل قائل في مجيد كتابه: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾**.

---

(15) انظر نص ما كتبه أمير البيان في مقدمة الطبعة الثانية المشار إليها آنفا.

أبيات في رثاء الزميل الفاضل المرحوم الأستاذ عبد الله كنون (*)

بغداد - حسين علي محفوظ

كان أنموذج الفحول الأفاضل ... أريحي اللقاء أغر الشمائل
جمع العلم والتواضع والأخـ ... ـلاق، محض الوداد، جم الفضائل
واستطالت أشعة منه في الآ ... فاق وهاجة السراج الشامل
تلك آثاره على العلم والحكـ ... ـمة والفضل والذكاء دلائل
جمعت كل ما يفيد وما ينـ ... ـفع فاستوجبت ثناء القائل
في تضاعيفها من الشرق في المغـ ... ـرب براقة الطراز مخايل
عمت المغرب المطرز بالأنـ ... ـوار شمّاً تمحو الظلام الغائل
منطق صائب وعقل رزين ... تتلاقى في ذروته المسائل
«وإذا الناس أدركوا غاية المجـ ... ـد شأهم من قال» إني فاضل

* * * * *

أنا ودعت منه خلا وفيا ... وصديقا بالحب واللطف حافل
وقريبا ينمى إلى الحسن السبـ ... ـط وطوبى علا، هذي الفصائل
لف عرقي بعرقه حسب عد ... وعلم غمر، وفضل، ونائل
هو من عترة النبي وأمي ... من بنات الرسول فخر القبائل
نسب المصطفى تعالى رقيا ... أين من كاهليه بكر ووائل؟

* * * *

(*) ألقيت في الجلسة العلنية لتأبين المغفور له الأستاذ عبد الله كنون بمجمع اللغة العربية بالقاهرة خلال المؤتمر السنوي للمجمع، الدورة السادسة والخمسون، أبريل 1990.

أنـــا لاقيتـــــه زمــــانـــا تجلى في تــراويحه الصـــديـق الكـــامـل

واصطحبنا حينا من الـدهر كان الـ وقــت فيـه حلي الـزمـان العـاطـل

لفعتــــــه في قبره رحمة اللـــــــــ ـه، وحــف الرضوان تلــك الجنادل

وسقــت تـــربــه الغــوادي ملثــا ت ورؤى ثــراه هـــامـي الهواطـل

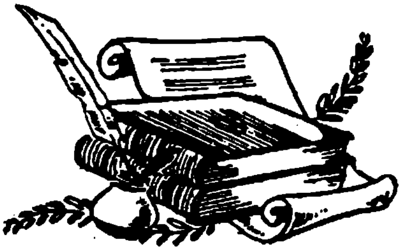

ربع قرن
مع أستاذي وصديقي
عبد الله كنون

سلا ـ يوسف الكتاني

سبق للمفكر الكبير الأستاذ محمد الحبابي أن دعاني منذ سنوات إلى ندوة أقامتها السيدة الفاضلة فاطمة الجامعي حرمه المصون بدارهما لتكريم رائد الفكر الإسلامي العلامة عبد الله كنون، ولكنني لم أستطع تلبية الدعوة لارتباطي بالتزام ضروري خارج الرباط، ومرت الأيام والتقينا أخيرا بطنجة في حفل تأبين المرحوم كنون فأخبراني بأن الندوة أصبحت كتابا جاهزا للطبع، وبادرت السيدة فاطمة بدعوتي للمشاركة في هذا الكتاب فقبلت وها آنذا أفعل.

لقد كان صديقي وأستاذي عبد الله كنون من الأشخاص المعدودين الذين تركوا أثرا عميقا في نفسي، وكان لهم الفضل في إثراء حياتي وإغناء سيرتي بفضل ما حباه الله من خصال ومزايا، وما جبل عليه من أخلاق وسجايا، جعلت حياته نموذجا حيا ومثلا رائعا للدور الأساسي الذي يستطيع العلماء القيام به في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، كما كانت سيرته طاقة جبارة من العزيمة، والنشاط، والوفاء، والشجاعة، والجرأة في الحق، وحب الخير للجميع، كل ذلك صادر عن روح شفافة ونفس أبية تتمثل فيها العاطفة الإنسانية بأسمى معانيها وأدق خصائصها، ويتوج ذلك جميعا حبه للابتكار، والعمل، والاجتهاد، والاستقلال في الرأي، وحب الإصلاح، والتجديد.

لقد كتبت عنه كثيرا وتحدثت عنه أكثر وخاصة بعد رحيله في مختلف وسائل الإعلام الوطنية وغيرها، لكنني أوثر هنا أن تكون كتابتي عنه متميزة، وخاصة عن علاقتي معه وارتباطي به لمدة ربع قرن كامل في ظلال رابطة علماء المغرب، ومن خلال الندوات والمؤتمرات الإسلامية التي كنا نشارك فيها معا.

إنه بالرغم من فارق السن، واختلاف الجيل وبعد السكن، فقد شدتني إلى عبد الله كنون وشدته إلي، وجمعتني به، ووطدت علاقاتنا، ومكنت صلاتنا دون انقطاع أو فتور طوال هذه المدة صفات وخصائص ومزايا حباه الله بها وجبل عليها، إذ ترجع معرفتي له إلى أكثر من أربعين سنة حيث قدم لي والدي رحمه الله كتابه «**النبوغ المغربي**» وهو يقول: هذا كتاب لعالم جليل طبقت شهرته الآفاق شرقا وغربا فحاول قراءته والاستفادة منه، وأمسكت الكتاب بأجزائه الثلاثة فرحا جذلان محملقا في والدي، إذ كان الكتاب أكبر من عقلي وإدراكي وأنا بعد لا أعدو التاسعة من عمري، غير أن والدي ردّ في متحديا: أنتظر أن تحدثني قريبا عن الكتاب وعما فيه من أفكار وآراء. ولم يكن أمامي إلا أن أطيع، وما زلت أذكر حبور والدي وسروره العظيم وهو يستمع إلى حديثي البسيط الساذج وأنا ألخص له فصول الكتاب وأفكاره.

ومنذ هذا التاريخ بالضبط نقش اسم عبد الله كنون في عقلي، ورسم في ذاكرتي، واتخذته نموذجا ومثلا، وأصبحت أتتبع عن كثب أخباره وأنباءه، حتى إذا كبرت وأصبحت في قسم البكالوريا بدمشق وجدت نفسي أمام عبد الله كنون رئيس وفد الحج المغربي، الذي عرج على الشام ليزور معالمها وأصدقاءه وفي مقدمتهم عمي المرحوم الشيخ سيدي المكي الكتاني، وقد فوجئت به يلبس بدلة أوروبية على غير عادته، وكان تعليقي على ذلك مفتاح الصداقة والصحبة التي استمرت ربع قرن من الزمان، إذ بادرته بقولي: لقد أصبحت شابا في زيك الجديد يا سيدي عبد الله، فرد على الفور: أنا دائم الشباب كما ترى يا سيدي. ولو أطلقت العنان لقلمي لكتبت عنه كتابا ولكنني سأجتزىء هنا ببعض ذكرياتي معه وأولاها أنني عدت من سفر بالخارج في هذه السنة، فعلمت أنه مر

بظروف صحية خطيرة حتى إنه لم يعد يستطيع الحراك إلا بمساعدة غيره، وشددت الرحال إليه من فوري صحبة أخي، ودخلنا عليه فوجدناه ممددا لا يستطيع أن يخف لاستقبالنا من الباب كما تعود أن يفعل، بل ظل رابضا كالأسد الجريح يهلل لمقدمنا ويشيد بزيارتنا، وأخذ رحمه الله كعادته يحدثني عن الظروف التي مر بها، وعن كثرة زواره وعواده الذين يمنعه الحياء من الاعتذار إليهم، أو التمنع من استقبالهم، وعن كتبه التي دفعها إلى المطبعة وعما وصله من كتب مهداة، وعما يقرأ وما لا يقرأ، واستدرجته للحديث عن كتابه الأخير «**حب الرسول للنساء**» والضجة التي أثيرت حوله في الشرق، وأخذت أساريره تشرق وهو يتعجب من تحجر العقول، وقصور الأفهام عن إدراك حقائق الإسلام وتفتحه على الكون والأحياء، وانتقل بنا الحديث فجأة إلى الشعر والشعراء وإذا به قد أخذ يتحدث عن دواوينه وأشعاره عندما سألته هل مازال يقرأ في هذه الظروف الصحية؟ وماذا يقرأ؟ فيبادرني بالتفاتة إلى الكتب التي توصل بها والموضوعة إلى جانبه ومنها دواوين شعرية، وإذا به يستعرض بعض دواوينه وأعز قصائده فيها، ويلح على أن أصيغ السمع إلى مقطوعات قصائده، وكأنه يريد أن يؤكد أنه مازال حافظا مستوعبا لأشعاره، ولما طلبت منه التريث وتكرار بعض المقاطع، ناولني رحمه الله ورقة من أوراقه وقلما لأسجل ما يعجبني من أشعاره التي أسجل هنا هذه الأبيات التي ألح على كتابتها من ديوانه «**لوحات شعرية**» كما أملاها علي رحمه الله وبقلمه وعلى أوراقه كتبتها وهي :

لا ومعنى من جمال في الجلال	ومعان من جمال في الجلال
ما تجرعت على مر الجفا	غصة كالهجر في معنى الوصال
أنا إن لم أك أوفى عاشق	لم يزل قصدي الوفا في كل حال
لا تؤاخذني بما يلزمني	من كمال النقص أو نقص الكمال

إن هذه الأبيات بعينها، وحرصه على سردها على مسمعي وكتابتي إياها، وما تحمله من معاني ومقاصد، تدل على عقل كبير وتفتح عظيم وطموح عظيم.

وثانية هذه الذكريات هو مشاركتنا معا في مؤتمر الخطباء بفاس الذي نظمته وزارة الأوقاف سنة 1985 وحضره أشهر خطباء العالم الإسلامي، وعندما تشكلت لجان المؤتمر اختير هو رئيسا للجنة القضايا الإسلامية، وبمجرد ما رشحت لأن أكون مقررها بادر بمطالبتي بالجلوس بجانبه، ثم أخذ ينظر إلى أعضاء اللجنة وكانوا كثيرين، وكأنه يدعوهم بنظراته إلى تزكية ترشيحي وتم ذلك وشرعنا في عملنا فورا، وسجلنا أهم القضايا الإسلامية التي سيتناولها تقرير لجنتنا، وإذا به يعلن لأعضائها أنه سيتناوب وإياي كتابته معا، حتى إذا أتممناه عرض على اللجنة لتقره أو تضيف إليه، ومازلت أذكره كما يذكره معي أعضاء لجنتنا وكانوا كثرا فيهم كبار العلماء والخطباء وأساتذة الجامعات من المغرب وغيره من الدول المشاركة، وأنا بجانبه وهو يملي وأنا أكتب، ثم يتركني أكمل الكتابة من إنشائي أمام جميع أعضاء اللجنة وهو مغتبط بهذا العمل المشترك، ولعله أهم تقرير بين تقارير لجان المؤتمر على الإطلاق.

وأمر آخر كانت له دلالة عميقة في علاقاتنا، وهي رسائله التي استمرت متصلة بيننا وتضاعف عددها بعد الثمانينات، سواء عند العودة من السفر، أو لدى صدور أحد كتبي، أو في المناسبات الإسلامية كالحج والعمرة وغيرهما، وإن مكتبتي لتترصع رفوفها بأغلب كتبه التي كان يهديها إلي بمناسبة صدورها، وقلما سافرت إلا وكان آخر صوت أسمعه في الهاتف هو صوته الكريم مودعا وداعيا.

أما رسائله إلي فلم تكن تنقطع عني أبدا، وإنها لتشكل باقة من عواطفه الحية نحوي، وعلما وتوجيها كان يحرص على تضمينهما في رسائله، بما يميزها من خطه الجميل المنتظم حتى ليخالها القارئ صادرة عن مطبعة، وأرجوا أن تتاح لي الفرصة لنشر هاته الرسائل جميعها، لما فيها من علم وتوجيه وفائدة، مكتفيا هنا برسالته إلي بمناسبة حصولي على دكتوراه الدولة سنة 1980 وهذا نصها:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طنجة في 1980/5/26

حضرة الأستاذ الدكتور سيدي يوسف الشريف الكتاني دام حفظه

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد فأهنيكم أولا على نجاحكم في الحصول على درجة الدكتوراه من دار الحديث الحسنية والصدى الحسن الذي كان لمناقشة الرسالة التي تقدمتم بها لهذا الغرض ولا غرو فالدر من معدنه وتلك عهود من الآباء توارثها الأبناء، زادكم الله رفعة وسؤددا، وأقر بكم عيون الأحباء والأقرباء، ثم أشكركم على التهنئة الحارة التي قدمتموها إلي بعضوية الأكاديمية الملكية واختياري للنطق باسم الأعضاء المغاربة المقيمين، وما أنا إلا نائب عن جميع الإخوان علماء الرابطة، وممثل لهم في مثل هذه المحافل، فنجاحي نجاح لهم واعتباري هو اعتبارهم، والله يأخذ بيدنا ويوفقنا، وتحياتي مع تهانئي لسيادة الوالد وللأخوة المحترمين وعلى خالص المحبة والسلام.

عبد الله كنون

أما آخر لقاء بيننا فقد كان قبل وفاته بخمسة أيام بإحدى مصحات الرباط التي نقل إليها في حالة صحية دقيقة، وقد استغرب لعدم سؤالي عنه بالرغم من قرب المصحة من سكني، ولما علم بغيبتي في الخارج ظل يسأل عني وينتظر عودتي إلى أن التقينا، ولشد ما كانت دهشتي كبيرة عندما وجدته يلقاني بقاعة الاستقبال يرتدي أجمل لباسه هاشا باشا متهللا، وقد استرجع عافيته وعاد إلى وجهه بريقه وصفاؤه وابتسامته الآسرة، على غير ما توقعت من جراء ما مر به من إرهاق ومرض، لكنه بادر بتبديد دهشتي وهو يحدثني بفرح وسرور كيف من الله عليه أخيرا باسترجاع صحته، وتمام عافيته، وذهاب آلامه، ومتاعبه بفضل العناية المركزة والعلاج الكبير، وكنت أراه وهو يتحدث عن نفسه وكأنه

الشمعة التي يـزداد ضياؤها ويتقد نورهـا عندما تقترب من نـهايتهـا. وأنا أكثر إشفاقـا عليه وأكثر فرحـا بسعادته، وأخـذ يحدثني عن كل شيء مـر به في فترة مرضــه، من عنـاية الأطبـاء به إلى حفـاوة العلماء والأصدقـاء وعيادتــه، وطيب الإقامة بالمصحــة وكريم الضيافة بها، ملحا على ضرورة عـودته إلى طنجة لقرب أيام عيـد الأضحى كـي يستعد لاستقبـال المهنئين والمباركين، وضرورة التهيــء للمؤتمر القـادم لرابطتنـا، ومازلـت أذكر جيـدا عندمـا بادرت مـديرة المصحــة بالترحاب بنا وعرض ضيافتها سائلـة ماذا نفضل من شراب كيف بادرها رحمه الله بقوله: إن هذا لا يفضل على القهوة الممتـازة شيئا وهي متوفرة عندكم، فلما سألته عما يريد شربــه رد على الفور: سأشاركه قهوته فأنـا مشتاق إليها، وكان سائقه كلما استعجله في الرحيل طلب منه التريث والانتظار، وما كنا ندري لا أنا ولا هو أن هذا اللقاء سيكون الأخير بيننا.

ولست أدري كيف بادرته بطلب أن يجيز لي بسنده ونحن نتهيأ للوداع، فرد على الفور يكفيـك سندك العالي وهـو مشهور، ولما ألحـحـت عليه مؤكـدا أن هذه الإجازة ستتـوج علاقاتنا وتـؤكد صلاتنا، لما فيهـا من إحياء سنن السلـف من محدثي الأمـة وعلمائها، والاتصال برسـول الله ﷺ عن طريـق سنته، قبل طلبي وأجازني شفاها بما له من سند عال إلى رسول الله عليه السلام، ومعقول ومنقول، ووعدني بأنـه سيملي الإجازة بمجرد عودته إلى طنجة، وقـد فعل حيث بـدأ في إملائهـا، غير أن الأجـل لم يمهلـه ليتمها كما أخبرني الأخ عبـد الصمـد العشاب، ولعلني آخر من لقيه بالرباط بل لعلني آخر من استفاد من علمه.

وإذا كانـت صحبتي لأستـاذي وصديقــي عبد اللــه كنون قـد طالـت، فقد استفدت مـن صحبته وتعلمت الكثير مـن نبوغـه وعلمه وفضله، وكـم أحب أن أشرك القراء معي ببعض ما تعلمت منه واستفدت، فقد كان يوصي العلماء :

أن يكونـوا ملتزمين بـالإسلام فهو دينهـم ودستورهـم وفيه حيـاتهم، وبه صلاحهم، لأننا قوم أعزنا الله بالإسلام مهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا.

وأن يكـونوا دومـا متأسين ومقتـدين بـرسـول الله خـاتم النبيئين وإمـام المرسلين، فهم أحق النـاس باتباعه والاقتداء بـه باعتبارهم ورثـة الأنبياء وأئمة الناس.

وأن صلاح الأمة الإسـلامية بصلاح فئتين منها: وهـم العلماء والحكام، وأن على العالم المسلم ألا يخاف إلا مـن الله وأن يكون مع الحق دائما ولا ينـافق ولا يداري ولا يتـزلف، وأن يزهـد في حب الظهور والـركض وراء المنافـع، وما أذل الناس ولوى رقابهم إلا المطامع، وكثيرا ما كان يـردد على لسانه وفي كتاباته هذا البيت الشعري المعبر:

يا علماء الدين،يا ملح الطعام　　　من يصلح الملح إذا الملح فسد

وإن التواضـع خلق الإسـلام، وأساس الأخـلاق، وروح السلوك ومـا أفسد المجتمعات الإسلامية إلا التكبر والتجبر والاستعـلاء على الناس، والبعد عن سيرة الرسول الكـريم، والتنكر لقيم الإسـلام وأخـلاقه، ولله الأمر من قبـل ومن بعد. هكذا كان يحلو له أن يعقب رحمه الله.

وبعد، فلعـل لصديقي الـدكتور الحبابي وحـرمه الفضل الكبير في بـث هذه الخواطر، والتحدث عـن علاقتي المتينة والمديـدة بسيدي عبد الله كنـون ونشرها للناس، ولعـل الفرصـة تواتيني أكثـر لإخراج ذلك في كتـاب يجمع رسـائله إلي، ويضم ذكرياتنا كلها، والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا.

كان كنون، وسيظل أحد أعلام هذه الأمة الرائعة

طرابلس ـ علي فهمي خشيم

كان أول لقاء لي على الورق مع الأستاذ كنون مقالة نشرها في العدد الأول من **مجلة كلية الآدب** في بنغازي بالجامعة الليبية يومذاك عن «أحمد زروق دفين مصراته». شدني إليها أن أحمد زروق كان (بلدياتي) طالما لهوت في طفولتي بجوار ضريحه وحول زاويته وجامعه، وطالما تلوت مع والدي «وظيفته» بعد صلاة الفجر. أردت أن أعلم عن زروق هذا أشياء كنت بها على جهل، فإذا بالأستاذ كنون يأخذني من مقالته تلك إلى عوالم جديدة ويحلق بي في أجواء أخرى لم يكن لي بها عهد. وإذا به يفتح أمامي مجالا رحبا من أفكار ومعلومات ومعارف أخذت بها وجعلتني أعيد النظر في أفكار أخرى وأراجع نفسي في مواقف كثيرة. كنت يومذاك ـ أواخر الستينات ـ في بداية السلم الأكاديمي أعد لأطروحة الدكتوراه بعد درجة الماجستير.

لم تمض سنة على قراءتي مقالة الأستاذ كنون حتى أرسلت في بعثة دراسية إلى بريطانيا لمتابعة تحصيل وإعداد أطروحة الدكتوراه. وحين جلست مع الأستاذ الذي كان سيشرف على بحثي (الدكتور عمر أو ستن بجامعة درهام) كان معي صريحا وواضحا للغاية. قال: «تود الكتابة في موضوع يتعلق بالعقل عند المعتزلة متابعة لرسالتك في الماجستير. يؤسفني أن أقول لك: لا يمكنني

الإشراف عليك في هذا المجال، لأنني لا أعلم عنه شيئا، أنا متخصص في التصوف الإسلامي، فإذا اخترت هذا الميدان.. فأهلا وسهلا».

عدت إلى مقري آسفا، أفكر في أمري. وفجأة خطرت في بالي مقالة الأستاذ كنون عن زروق. لمعت الفكرة كالبرق. فلماذا لا يكون زروق، الصوفي والعالم السني، موضوعا لدراستي؟ وقد كان. رحب الأستاذ المشرف بالموضوع، ومضيت في دراسة علم من أعلام المغرب، حتى أنهيت ما بدأت. وكان زروق - الرابط بين المغرب وليبيا برباط المعرفة والحب — منطلقا جديدا في حياتي، والفضل يعود إلى مقالة كنون الرائعة.

في أثناء دراستي كان مؤلف كنون الفاخر «**النبوغ المغربي في الأدب العربي**» رفيقا لي. من خلاله اطلعت على الكثير مما كنت أجهل. عرفت أي قدر كان لأولئك الرجال المغاربة وأي إسهام كان لهم في مجالات الثقافة الإسلامية في مختلف جوانبها ومتباين نواحيها. وبفضله أدركت ذلك الخيط الذي ينظم وطننا الكبير ويجمع أطرافه وأحسست بالدفء العربي الإسلامي دما يجري في عروق هذا الوطن عبر تاريخه الطويل وفي شرايين أعلامه وعلمائه، وحرارة تسري في كلمات كنون عبر هذا الكتاب وفي مؤلفاته ومقالاته وبحوثه المنوعة.

ومرت الأيام حتى كانت سنة 1974. وكنت يومها في قاهرة المعز، وذات يوم جاءني الأستاذ علي مصطفى المصراتي متهللا، وصاح بي فرحا :

«أتدري؟ الأستاذ كنون الذي تحب وتتمنى أن تراه موجود هنا في القاهرة». وكان جوابي الفوري: «هيا بنا إليه حالا!».

وقبل الأستاذ كنون، متفضلا، دعوتي له لتشريف بيتي للعشاء مع الأستاذ المصراتي. وكانت جلسة لن تبرح ذاكرتي. كنت أصغي بكياني كله، مغمورا بالفرحة ومبهورا بهذا الإنسان الرائع: عبد الله كنون.

كان يتدفق كالجدول الصافي، خفيض الصوت ينساب ويترقرق عذبا سلسا ونقيا بالغ النقاء. كنت أتأمل وجهه الهادئ المطمئن، تغمره السكينة والهدوء الصوفي، وأنظر إليه وهو يتحدث فلا أدري إن كان يغنيني العلم أم يعلمني

الغناء. وكان ـــ المصراتي وأنا ـ نسأل ونسأل... ونغترف من ذلك البحر اللجي الذي لا ينضب. ولن أنس قط تلك الأمسية التي جمعتنا على طعام لم يتناول منه الأستاذ إلا القليل القليل، دأب الناسك الزاهد، ولن أنس جلال الجلسة وأكواب الشاي الأخضر نرشف منها ونشرب المعرفة والحكمة و.. والمحبة الدافقة.

ومرت عشر سنوات أخرى ـ يالله! ما أسرع مرور الأعوام!

وكتبت إليه كثيرا، وذات يوم ـ كنت أصفف كتاب زروق «**عدة المريد الصادق**» وأعده للنشر، كتبت إليه أنني علمت بأنه هو يعده للنشر وأستفسر عن صحة ما بلغني، فرد ـ رحمه الله ـ يقول أنه فعلا كان ينوي هذا ويرى الآن أن أتولى أنا المهمة لاهتمامي بزروق ونشر تراثه وهو يتخلى عن مشروعه. هكذا بكل بساطة، وبكل الحب، وبكل إيثار العالم العظيم.

ويوم بلغني خبر وفاته لم أفعل شيئا سوى أن مضيت إلى شاطئ البحر وجلست أرقب موجاته واحدة إثر أخرى، وبدا لي عبد الله كنون بوجهه الهادي، وثيابه المغربية الجميلة، وهو يبتسم في اطمئنان. لقد أدى رسالته، عالما وأستاذا، صديقا وأخا عربيا أحب لغته وأهله، ومسلما واعيا بحقيقة دينه، وإنسانا متفتحا ومشرقا بالمحبة والود. وكان كنون ـ وسيظل ـ أحد أعلام هذه الأمة الرائعة، وكان ـ وسيظل ـ أحد أعلام «**النبوغ المغربي في الأدب العربي**» رحمه الله.

رحيل العلامة عبد الله كنون مجدد التراث والأصالة

تونس ـ أبو قاسم محمد كَرو

نعت أخبار المغرب الشقيق وفاة العلامة الكبير والبحاثة المجمعي الشيخ عبد الله كنون عن عمر يناهز الثمانين عاما.. قضى معظمها (65) في خدمة العلم والأدب، وفي الدفاع عن الإسلام والوطن.

كان منذ فجر شبابه ـ الخامسة عشرة من عمره ـ يساهم بقلمه ونضاله دفاعا عن الوطن وإيقاظا للوعي وإحياءا للتراث وإنتاجا في شتى مجالات الأدب والمعرفة.

كيف عرفته ؟

تعرفت عليه لأول مرة عام 1962 عندما زرت مدينة طنجة وحظيت باستقباله لي في منزله، ومنذ هذا اللقاء وصلات الود والمراسلة وتبادل الكتب متصلة بيننا، كذلك كنت رفيقه وحفيا به عندما زار تونس عام 1972 للمشاركة في الملتقى الثاني لإبن منظور بقفصة، هذا فضلا عن لقاءاتنا بمجمع اللغة العربية في القاهرة بداية من عام 1973 حتى آخر لقاء بها عام 1987 حيث شعرت عامئذ بثقل السنين عليه.

كنون والشابي

ومما يسجل له باعتزاز أن شاعرنا الكبير «أبو القاسم الشابي» قد درس شعر كنون وتحدث عنه وقال رأيه فيه عام 1930 ـ وكان كلاهما عامئذ في

العشرين من عمره ـ وذلك في محاضرة أعدها الشابي عن شعراء الشباب في المغرب الأقصى(1)، وهي محاضرة لم يتح لها أن تلقى في موعدها بسبب غياب الجمهور، كما أنها لم تنشر حتى الآن(2).

نشأته

هو عبد الله بن عبد الصمد بن التهامي بن المدني كنون الحسيني.

ولد بمدينة فاس يوم 30 شعبان عام 1326 (27 سبتمبر 1908). وبعد فرض الحماية على المغرب إنتقل به والده ـ وكان من كبار العلماء ـ مع باقي الأسرة إلى مدينة طنجة التي لم تشملها الحماية عن قصد ليفرض عليها لاحقا نظام دولي. كان عبد الله في السادسة من عمره، وكان في عزم والده الهجرة الى الشرق حتى لا يبقى في أرض يحكمها الغاصب الأجنبي. غير أن إندلاع الحرب العالمية الأولى حال بين الأسرة وبين الانتقال إلى الشرق.. وهكذا استقرت العائلة نهائيا بطنجة التي كان وضعها الدولي أهون مما عليه باقي التراب المغربي الذي تقاسمه الاستعماران الفرنسي والإسباني كما هو معروف.

تعلمه وتكوينه

تلقى تعليما تقليديا أول الأمر، فحفظ القرآن الكريم والتحق بجامعة القرويين بفاس حيث إستوعب علومها الدينية والأدبية واللغوية على جهابذة عصره، وبينهم والده. ولعناية الوالد الخاصة به عمل على توسيع آفاقه العلمية بدروس خاصة في الثقافة العامة وفي اللغتين الفرنسية والإسبانية، ولكن معارفه الحقيقية وموسوعيته التي تميز بها في حياته العلمية وبين معاصريه، قد كونها بنفسه من خلال مطالعاته المكثفة وسعيه المستمر وراء الجديد من الكتب مع إستيعابه القديم وهضمه والإفادة منه. وقد أعانه على ذلك كله ـ كما يقول هو

(1)راجع عن هذه المحاضرة يوميات الشابي، يومية 1930/1/13.
(2) عندي النسخة الوحيدة من هذه المحاضرة، وهي بخط الشابي وسنقوم بنشرها.

نفسه ــ «توجيه والده والبيئة العلمية التي نشأ فيها، وخزائن الكتب الكثيرة المتوارثة عن الآباء والأجداد» مما كان له «الأثر الكبير في تكوينه»[3].

الشاب الطلعة

منذ شبابه الباكر وهو مهوس بالمطالعة والكتابة ونظم الشعر وتأليف الكتب. فقد قال الشعر وهو دون الخامسة عشرة، كما ألف كتابا مدرسيا وهو في السادسة عشرة. ولم يبلغ العشرين حتى كان كاتبا معروفا وشاعرا ينشر شعره بين الناس، مما حمل مؤلف كتاب «**الأدب العربي في المغرب الأقصى**» الأستاذ محمد بن العباس القباج على أن يختار طائفة من شعره ويترجم له (مع صورته) في الجزء الثاني من كتابه المخصص لشعراء الشباب[4]، وكان ذلك عام 1929 وهو في الحادية والعشرين. وقد تولى الشابي النظر في شعره ـ وهما تربان ـ من خلال المحاضرة المشار إليها سابقا.

الطموح المستمر

ينتمي الشيخ كنون الى عائلة مغربية ــ من أصل أندلسي ـ عريقة في الشرف والمجد والمكانة العلمية على مدى أجيال وقرون. وهذا الإنتماء الأثيل هو الذي كان يغذي طموحه ويزيد في تطلعه الى المزيد من الأعمال والإنجازات العلمية والإسلامية والوطنية. وهذه الحياة العريضة الخصبة الممتدة ــ في عطائها وإنتاجها ــ على مدى سبعين عاما، لايستوعبها ويفي بحقها إلا مجلد ضخم. ولكن ما لا يدرك كله لايترك كله. لهذا نكتفي هنا بجملة من الملامح والجوانب من حياته العامة والعلمية والإدارية، وعلى الأخص نضاله عن الوطن ومساهمته في تحريره ونهضته معا.

---

(3) من رسالة شخصية.

(4) بين صفحات 36 ـ 43.

نضاله الوطني

انتظم منذ شبابه في «كتلة العمل الوطنـي» التي تفرعت منها جميع الأحزاب المغربية المعروفـة في عهد الحماية. وبقي طوال عهد الإستعمار «صلـة الوصل في طنجة بين المكافحين والوطنيين في الشمال والجنوب، وكذلك بين الحركات الوطنية المغربية في مصر وهيئاتها في المغرب العربي».

وتقديـرا له ولنضالـه الوطني أسنـد إليه منصـب أول حاكم مغـربي لمدينة طنجة بعد الإستقلال فتولى بنفسه تصفيـة الحكم الدولي لها وآثاره الإستعمارية بها. وهكذا كانت عودة طنجة الى الوطن الأم عام 1957 على يديه.

وقبل ذلك كان قد شغل منصب وزير العدل في حكومة الشمال.

في التعليم

بدأ حياته العامة مدرسا في فجر شبـابه وظل ينمو ويصعد حتى أصبح من جهابذة علماء القرويين وعضوا في مجالسها العلميـة فضلا عن التدريس في كلية أصول الـدين. وإلى ذلك تـولى إدارة المعهد الـديني بطنجة وإدارة معهـد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان مع التدريس بالمعهد العالي بها. كما أسس مدرسة حرة للبنات وأخرى للبنين.

في الصحافة

فضلا عـن الصحف التـي تولى الإشراف عليهـا مثل مجلـة «**لسان الدين**» ـثماني سنوات ـ وجريدة «**الميثاق**» لسان رابطة علماء المغرب، نشر وساهم على مدى ستين عـاما في معظـم مجلات وصحف المغـرب وتونـس ومصر وسوريـا والعراق وغيرها من البلاد العربية لا سيما في المجلات الجامعية والمجمعية.

عضو المجامع

منذ عام 1961، تم تعيينه عضوا عاملا بمجمـع اللغة العربية في القاهرة وفي مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، والمجلس الإسلامي الأعلى. وعقب ذلك انتخب عضـوا في معظم المجـامـع العربيـة الأخـرى كمجمـع دمشق والمجمـع الأردني.

وبالطبع هو عضو عامل ونشيط في كل الهيئات العلمية بالمغرب مثل أكاديمية المملكة المغربية والمجلس العلمي بجامعة القرويين. كما أنه الأمين العام لرابطة علماء المغرب منذ تأسيسها.

الباحث الأديب

طرافة الشيخ كنون تظهر في ثقافته العالية وبحوثه المجددة ومساهماته الكبيرة في إحياء التراث والتعريف بأدب وأدباء الأندلس والمغرب... وقد نود بأعماله العلمية الجليلة ومؤلفاته المفيدة التي ناهزت المائة عنوان، بين كتاب كبير متعدد الأجزاء وبين البحوث والرسائل الصغيرة، نوه بها العديد من كبار العلماء والأدباء والمستشرقين أمثال طه حسين وشوقي ضيف وعدنان الخطيب والدكتور إبراهيم مدكور وأنور الجندي.

مؤلفاته

قلت إنها تزيد عن المائة، من الكتب والرسائل، عدا البحوث والمقالات التي قد تصل الى الألف.. ولهذا يعسر أن تأتي بأسمائها كافة في هذه المناسبة وهذا المجال المحدود، ولهذا سنكتفي بعينات منها للدلالة عليها مع إشارة الى أن جل اهتمامه كان مركزا على التعريف برجال العلم والأدب قديما وحديثا. وكتابه الفائق «**النبوغ المغربي**» بأجزائه الثلاثة ودراساته المكثفة عن «**مشاهير رجال المغرب**» بحلقاتها الأربعين شاهدة على علمه الغزير وحرصه الشديد على إظهار دور المغاربة في الحضارة الإسلامية ومكانتهم في تاريخ الفكر والأدب العربيين.

وتأكيدا لكل ذلك كان فرحه كبيرا عندما تعرف على مشروع كمشروعه كنت قد بدأته عام 1965 وأهديت إليه حلقته الأولى، وهي دراسة عن الشاعر التونسي، الأندلسي الأصل، «عبد الرزاق كرباكة» فكتب يقول: «.. وبعد، فقد وصلني ما تكرمتم به من كتاب الأدب الفارسي(5) والحلقة الأولى من كتابكم «**أعلام**

(5) من تأليف علي الشابي. وكنت أرسل له الجديد من المطبوعات التونسية.

المغرب»... وإنه لمشروع جد مفيد لأنه يملأ فـراغاً في المكتبة العربية لا يسده إلا أبناء المغرب. وقد آن الآوان لأن نقوم بهذه المهمة وإلا حـق علينا القول اننا أكثر إهمالا لتاريخنا وتضييعا لرجالنا، فأرجوا لكم التوفيق والثبات....»(6).

كنون الموسوعي

تتنـوع مؤلفـات الشيخ كنون بين شتى مجالات المعـرفة، فمن التـاريخ إلى الدين إلى الحضـارة واللغة بمختلف علـومها والأدب وتـاريخه والشهر وأعـلامه والفقهاء ومواقفهم الدينية والأدبية(7).. وهو في جميع أعماله لا يقلد ولا يجتر بل يبتكـر أو يضيف أو يسلط الأضـواء على جوانب لم يبحثهـا غيره من قبل ممـا ينبيء عن اتساع معـارف الشيخ كنون وإحاطتـه الشاسعة بتراثنـا الحضاري والأدبي والديني وبحياتنا المعاصرة وحاجتها الأكيدة إلى الإحياء والتجديد.

---

(6) من رسالة منه مؤرخة 1966/2/8

(7) مثل كتابه، «أدب الفقهاء».

تعزية في أستاذ الجيل المرحوم سيدي عبد الله كنون

فاس ـ عبد الكريم الوزاني

قضى الله أن تلقى البرية حتفها ... وأن تتوارى خلف غائلة اللحد
وأن يرحل الأحباب في صحبة الردى ... الى حيث لا ترجى لهم فرصة العود
فتهوى الى عمق الرغام فراقد ... وتسكن في قر الثرى نجمة السعد
وقد كان مثواها العيون ونورها ... فأحبب بها في ومضة القبل والبعد
قضى الله أن تروى الجفون بدمعها ... بكاء عليها وهي في قبضة الفقد
فيا بارك الرحمان عبده بينها ... كما بارك الأجداد في سالف العهد
فقد كان فينا عالما وابن عالم ... تبوأ طيب الذكر والسمت والحمد
تداول أسباب الحياة بحنكة ... ويعرف ان الموت صادقة الوعد
يمد يدا بيضاء لا عن تزلف ... ولا عن تراخ في الإرادة والجهد
الى العلم هل للعلم في الأفق غيره ... فقد عبه من نبعه وهو في المهد
لبيب إذا مال الهوينا بطرفه ... ويلتمس الأعذار للحاقد الوغد
هو الجود أنا يدرك الجود شأوه ... هو الحزم مقدام كبارقة الرعد
هو الكلمات الغر والفكر التي ... إذا انتظمت في العقد تومض في العقد
فلا لغو في معنى ولا حشو في مبنى ... مصابيح في الديجور دائمة الوقد

عفيـف إذا يعطـى كريـم إذا يعطـي سريـع الى الجلى بعيـد عـــن الحقـد

وسيـــم إذا يـأتي جليـــل إذا يمضي بليـغ تـــواتيـه البـلاغـة بـــالقصـد

سقتـه رياح الخلـد خالـص عطرهـا وأسكنــه الـرحمان في جنـــة الخلـد

تطـوف بـه الـولـدان يـوم يجيئهـا وتلبســه مـن خـزها حلـة الـرشـد

لئـن غـــاب عنـا وجهـــه وضيـاؤه ففــي الأهـل والأعمال مأثـرة المجـد

بسم الله الرحمان الرحيم

مكتبة عبد الله كنون، شارع عمر بن العاص، رقم 9، طنجة

«رغبة في نشر المعرفة وتنوير الفكر، أسس بعون الله وعنايته، هذه المكتبة الكاتب الرائد والعلامة الإسلامي المصلح، الأستاذ عبد الله كنون الحسني وأوقفها على مدينة طنجة التي كون فيها هذه المكتبة ليرجع إليها الباحثون والدارسون، وينهل من منابعها الطلبة والمثقفون على ما عهدوه من قبل، جزاه الله خيرا وبارك في عمره، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا».

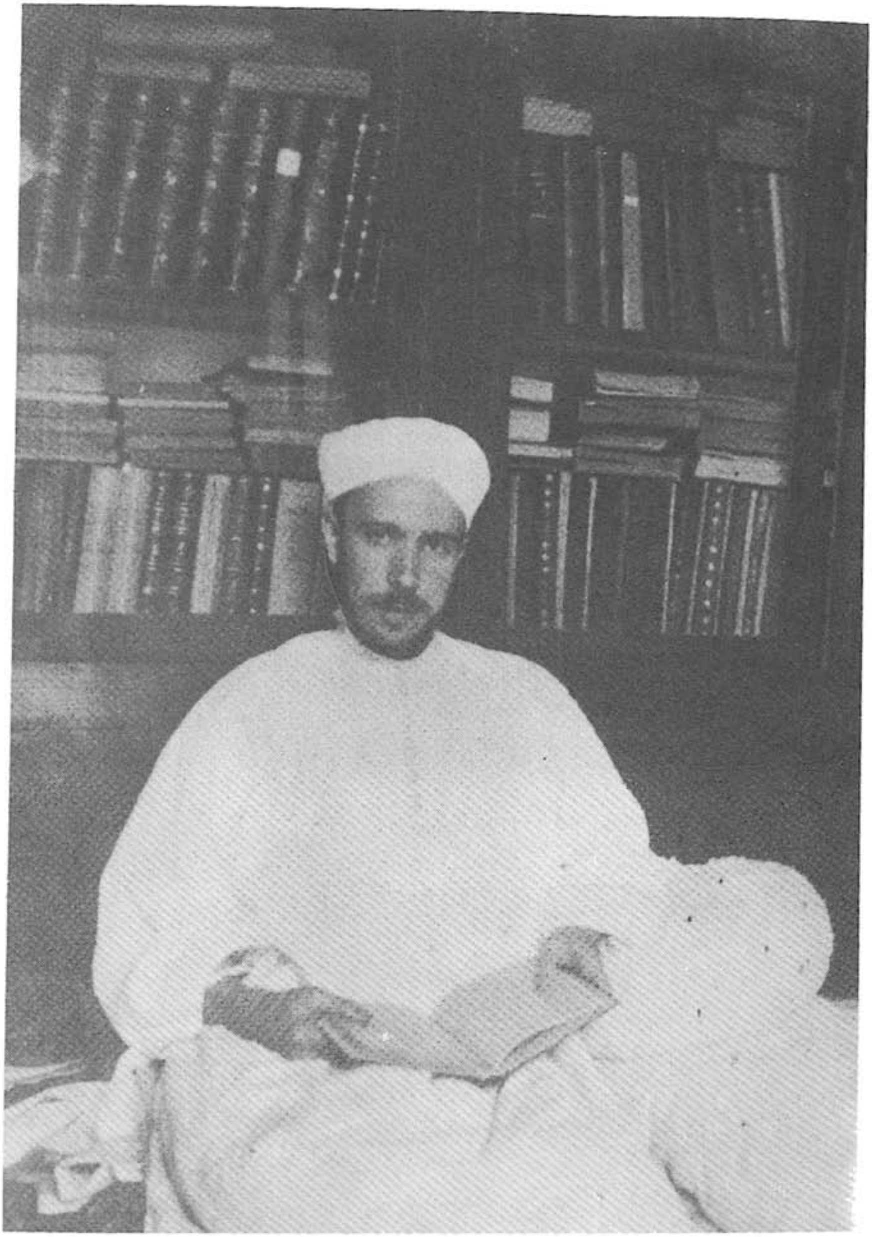

الأستاذ كنون يتوسط مكتبته بالبيت

ذ. كنون يتوسط الجماعة التي حضرت حفل تدشين
الخزانة التي أوقفها على مدينة طنجة

عبد الله كنون معين لا ينضب عطاؤه

طنجة ـ محمد مصطفى الريسوني

ذات يوم من أيام خريف سنة 1984 ميلادية حدثني الخال سيدي عبد الله كنون وهو طريح الفراش بمستشفى **كوشان** بباريز عن رغبته في إهداء مكتبته الى مدينة طنجة، طلبتها والباحثين من أبنائها والى جميع عشاق العلم ورواد المعرفة من جميع أنحاء المغرب وبقية البلدان.

وكان جوابي أن قدرت فيه الروح العالية وقلت مخاطبا له:

«لقد أهديتم المغاربة في الثلاثينات كتابكم «**النبوغ المغربي في الأدب العربي**» الذي أعطى للمغرب هويته الثقافية، واليوم وفي الثمانينات تهدون مكتبتكم العامرة بالنفائس والذخائر إلى رواد العلم وطلاب المعرفة، فأنتم والله كما قال الطغرائي:

مجدي أخيرا ومجدي أولا شَرعٌ
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطَّفَل

وعدنا الى المغرب بعد شفاء أستاذنا الجليل، وأخذنا في العمل على تطبيق رغبته في إهداء المكتبة، وتم ذلك عن طريق تأسيس لجنة برآسة الكاتب عهد إليها باستلام جميع محتويات هذه المكتبة الزاخرة من مطبوعات ومخطوطات ووثائق، وأعددنا بمساعدة السلطة المحلية والبلدية ومجموعة من المتطوعين والمتبرعين، مكتبة العلامة سيدي عبد الله كنون، التي يوجد مقرها الآن بشارع عمرو بن العاص رقم 9 بطنجة.

وقد تم افتتاح المكتبة يوم 26 فبراير 1986 في مشهد عظيم مؤثر حضره إلى جانب الفقيد سيدي عبد الله كنون، عامل صاحب الجلالة على إقليم طنجة الأستاذ محمد العلج، وجمع غفير من أهالي مدينة طنجة ومثقفيها ضاقت بهم رحاب المكتبة رغم اتساعها وألقيت كلمات مؤثرة وقصائد شعرية كان مسك ختامها الكلمة التوجيهية لعلامتنا الفقيد.

وللعلم والاطلاع فإن مكتبة عبد الله كنون تسير وتدار من طرف لجنة مكونة من عشرة أفراد هم الأساتذة: محمد المرابط والدرهم دحمان ومحمد مصطفى الريسوني وعبد الإله كنون وعبد الصمد العشاب وأبو بكر اللمتوني ومحمد الشاهد الشنتوف ومحمد عزيز الوزاني ومحمد البقالي الطاهري وأحمد بوكماخ.

وقد وقع اختيار اللجنة بموافقة الفقيد على تعيين الأستاذ عبد الصمد العشاب مديرا قيما على المكتبة.

وللمكتبة نظامها الخاص، فالكتب فيها لا تعار ولا تنقل، وهي تحتوي على قاعات متعددة ومكاتب يخصص البعض منها لموظفي المكتبة والساهرين عليها والبعض الآخر للباحثين أو ذوي الرسائل والأطروحات الجامعية.

وبالمكتبة جناح خاص بالكتب المطبوعة في جميع الفنون، وجناح خاص بالمجلات، وجناح خاص بالمخطوطات، وجناح خاص بالوثائق، وهي تحتوي إلى جانب ذلك على عديد من الذخائر والنفائس التي أهديت لمؤسسها في مختلف البلدان، وكذا على الأوسمة العلمية والتشريفية التي حصل عليها من المغرب وباقي البلدان العربية والإسلامية. وجميع محتويات المكتبة مبوب بفهارس مختلفة، موضوعات - تأليف - أسماء المؤلفين - الى آخر التنظيمات المعمول بها في المكتبات العامة.

وكلمة أخيرة أقولها عن هذه المكتبة، إنها مفتوحة في وجه الجميع، وبها سجل خاص لكل من أراد أن يدلو بدلوه وعطائه في تعميم المعرفة بإهداء كتاب أو كتب لرواد المكتبة وطلاب العلم.

لائحة المؤلفات والكتب المحققة والمنشورة للأستاذ المرحوم سيدي عبد الله كنون

طنجة ـ عبد الصمد العشاب

كان المرحوم العلامة سيدي عبد الله كنون موسوعة علمية متعددة المناحي والاهتمامات. وهو بهذا المعنى كان مشاركا. ولفظ مشاركة بالنسبة اليه لا يفيد أخذ نتف من هذا العلم أو ذاك، بل كان تام الاطلاع، واسع المعرفة فيما يتحدث فيه أو يهتم به، وكان مغرما بالجديد المبتكر فهو الذي يقول في مقدمة كتابه **«أمراؤنا الشعراء»** :

«يعجبني الموضوع ولو كان تافها اذا كان طريفا لم يعرض بعد في السوق، ولا أكره الي من الموضوع المبتذل أقرأه، فأحرى أنشئه. ولهذا فاني أفضل الكتابة القليلة مع الطرافة على الكتابة الكثيرة والإبتذال».

من ثمة فإن الانتاج الذي صدر عن الأستاذ كنون كان يتسم بهذه الطرافة والجدة التي ألمح إليها في الفقرة السابقة من كلامه.

على ان انتاج الأستاذ كنون يمكن حصره في المحاور التالية:

أ ـ الدراسات الأدبية والتاريخية المغربية والأندلسية

ب ـ الدراسات اللغوية

ج ـ الدراسات الإسلامية

د ـ الإبداع في المقالة الأدبية والشعر

هـ ـ المقالة السياسية في قضايا وطنية وعربية وإسلامية بوجه عام
و ـ تحقيق النصوص والكتب المتصلة بالمحاور السابقة.

إنني بحكم ارتباطي بالأستاذ الفقيد منذ مرحلة الطفولة الى حين وفاته كنت قد ألمت بدقائق ما يتصل به إجتماعيا وثقافيا. وقد وضعت للجانب الثقافي ببلوغرافيا موسعة تناولت بالتعريف والشرح كل إنتاجه المنشور بالكتب والمجلات والصحف والقصاصات... الخ. وكذا لإنتاجه الذي خلفه من بعده ولم ينشر لحد الآن، وهو شيء كثير وممتع.

وهذا الجرد الذي أتشرف بتقديمه مأخوذ من تلك البيبلوغرافيا المفصلة، أؤدي به خدمة متواضعة للدكتورة السيدة فاطمة الجامعي الحبابي حرم أستاذنا الكبير محمد عزيز الحبابي فعساها تحظى بالقبول.

أ ـ في الدعوة الإسلامية:

ـ **فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين** (في الرد على دعاة التنصير في أوساط المسلمين): طبعة أولى بالمطبعة المهدية بتطوان 1365/1946. طبعة ثانية بمطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة. 1402/1982.

ـ **الرد القرآني على كتيب: هل يمكن الاعتقاد بالقرآن؟** (كتيب ألفه سفير الإتحاد السوفياتي بموريطانيا) : دار الكتاب اللبناني بيروت، 1982.

ـ **إسلام رائد** (مقالات في الدعوة): طبعة أولى بمطبعة كريماديس بتطوان 1971، طبعة الثانية بالمطبعة الملكية، بالرباط، 1978.

ـ **مفاهيم إسلامية** (مقالات): الطبعة الأولى بدار الكتاب اللبنابي، بيروت 1964، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء 1405/1985.

ـ **على درب الإسلام** (مقالات في الدعوة): مطبعة كريماديس بتطوان 1972.

ـ **منطلقات إسلامية** (مقالات): مطبعة سوريا بطنجة 1976.

ـ **شؤون إسلامية** (دراسات): دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء 1979.

- **الإسلام أهدى** (دراسات): الطبعة الأولى، طنجة. الطبعة الثانية بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء 1405/1984. ترجم إلى الإسبانية سنة 1988 بإشراف مكتبة المنارة بمكة.
- **جولات في الفكر الإسلامي** (دراسات): مطبعة ديسبريس بتطوان 1400/1980.
- **تحركات إسلامية** (رحلات ومؤتمرات): دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء 1977.
- **معسكر الإيمان يتحدى** (مقالات): مطابع البوغاز بطنجة 1989. صدر بعد وفاته.
- **تفسير سور المفصل من القرآن الكريم:** مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء 1401/1981.
- **تفسير سورة يس:** الشركة الجديدة مطبعة لويس ش.م. بالدار البيضاء 1989.
- **القدوة السامية للناشئة الإسلامية** (دروس في تلقين البطولات الإسلامية): الطبعة الأولى بمطبعة الوحدة المغربية بتطوان 1945، الطبعة الثانية بدار النشر للجامعيين - بيروت.
- **تقول سخيف على الجناب المحمدي الشريف** (مناقشة لجانب من سيرة الرسول): شركة الطبع والنشر، بالدار البيضاء 1989.
- **حب الرسول للنساء** (مناقشة لجانب من سيرة الرسول): مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي - مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء 1988.
- **أربعون حديثا في فضل القرآن وتعلمه وتعليمه وتلاوته:** منشورات رابطة علماء المغرب، ضمن سلسلة سبيل المؤمنين. الحلقة رقم 1، مطبعة الميثاق بطنجة.
- **محاذي الزقاقية** (دروس متوسطة في التشريع الإسلامي المغربي): الطبعة الأولى بمطبعة الوحدة المغربية بتطوان. الطبعة الثانية بمطبعة أكدال بالرباط 1375/1955. الطبعة المترجمة إلى الفرنسية للأستاذ بوريس دي برفتياف باريس 1958.

ب ـ في الأدب والدراسات الأدبية والتاريخية المتصلة بهما :

ــ **النبوغ المغربي في الأدب العربي**: الطبعة الأولى جزءان بالمطبعة المهدية بتطوان 1937. الطبعة الثانية 3 أجزاء، دار الكتاب اللبناني بيروت 1961. الطبعة الثالثة 3 أجزاء دار الكتاب اللبناني بيروت 1975. ترجم إلى اللغة الاسبانية ونال عليه لقب دكتوراه فخرية من جامعة مدريد على إثر طبعته الأولى.

ـ **شرح مقصورة المكودي** (قصيدة طويلة على غرار مقصورة حازم): مطبعة مصطفى محمد ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ بمصر 1356/1936.

ـ **شرح الشمقمقية لابن الونان** (شاعر مغربي على عهد المولى محمد بن عبد الله العلوي): الطبعة الأولى ـ مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر 1354/1934. الطبعة الثانية بدار الطباعة المغربية بتطوان 1954، الطبعة الثالثة بدار الجيل للطباعة بمصر 1964. الطبعة الخامسة دار الكتاب اللبناني بيروت 1979.

ـ **ذكريات مشاهير رجال المغرب** (سلسلة تراجم من 40 حلقة): الطبعة الأولى منشورات معهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان، الطبعة الثانية دار الكتاب اللبناني بيروت. تحت الطبع عشر حلقات أخرى من 41 الى 50.

ـ **أمراؤنا الشعراء** (منتخبات من عهد الأدارسة الى العلويين): المطبعة المهدية بتطوان 1361/1941.

ـ **واحة الفكر** (إبداع ونقد): منشورات معهد مولاي الحسن للأبحاث ـ المطبعة المهدية بتطوان 1948.

ـ **لقمان الحكيم** (ترجمة للحكيم المشهور): الطبعة الأولى بالمطبعة المهدية بتطوان، الطبعة الثانية بدار المعارف بمصر 1969.

ـ **التعاشيب** (إبداع ونقد): الطبعة الأولى بالمطبعة المهدية بتطوان. الطبعة الثانية بدار الكتاب اللبناني بيروت 1975.

ـ **العصف والريحان** (مقالات في الأدب والنقد): مطبعة كريماديس بتطوان 1969.

- **أزهار برية** (مقالات في الأدب والنقد): مطبعة ديسبريس بتطوان1976.

- **أحاديث عن الأدب المغربي الحديث** (محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية، التابع لجامعة الدول العربية): الطبعة الأولى دار الرائد للطباعة بالقاهرة 1964، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء 1398/1978.

- **أشذاء وأنداء** (مقالات في الأدب والنقد): مطابع البوغاز بطنجة 1986.

- **خل وبقل** (دراسات أدبية ونقدية): المطبعة المهدية بتطوان.

- **أدب الفقهاء** (دراسات نقدية وتحليلية): الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني بيروت. الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء 1988.

- **لوحات شعرية** (ديوان): دار كريماديس للطباعة بتطوان 1966.

- **إيقاعات الهموم** (ديوان): مطبعة سوريا بطنجة 1401/1981.

- **القاضي عياض بين العلم والأدب** (دراسة): منشورات دار الرفاعي - سلسلة المكتبة الصغيرة، عدد 42، الرياض 1403/1983.

- **أنجم السياسة وقصائد أخرى** (دراسات أدبية عن نماذج من الشعر المغربي النادر): مطبعة النجاح الجديدة بالبيضاء 1401/1989.

* * * *

ج - كتب مختلفة :

- **مدخل الى تاريخ المغرب** (مدرسي): الطبعة الأولى، مطبعة الوحدة المغربية بتطوان 1363/1944. الطبعة الثالثة مطبعة كريماديس بتطوان 1378/1958.

- **الجيش المجلب على المدهش المطرب** (مناقشة لكتاب العلامة عبد الحفيظ الفاسي في شأن نسبة آل كَنون إلى العترة النبوية): مطبوع على آلة النسخ سنة 1985.

- **معارك** (مجموعة مقالات في الدفاع عن القضية المغربية إبان الحماية والقضية الفلسطينية وقضية التعليم الأصيل بالقرويين): مطبعة ديسبريس بتطوان.

- **نظرة في منجد الآداب والعلوم** (دراسة نقدية لغوية): منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي بالقاهرة 1973.

ـــ **أربــع خــزائن لأربعة علماء مــن القــرن الثــالــث عشر:** منشورات معهد المخطوطات العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1964.

- **الشيخ أحمد زروق دفين مصراته** (دراسة)

* * * *

د ـ كتب محققة :

- **المنتخب من شعــر ابن زاكور** (منتخبات من ديوانــه المخطوط): الطبعة الأولى منشورات مؤسســة الجنرال فرانكو للأبحــاث العربية الإسبانيــة، مطبعة الفنون المصورة بالعرائش 1942. الطبعــة الثانيــة دار المعــارف بمصر، سلسلة ذخــائر العرب عدد 39 سنة 1966.

- **منــاهل الصفا في أخبــار الملوك الشرفاء ـــ للكاتــب عبد العزيــز الفشتالي**: منشورات كلية الآداب بجــامعة محمد الخامس بــالرباط، المطبعة المهــدية بتطوان 1384/1964.

- **ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث**: منشورات معهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان 1958. الطبعة الثانية منشورات مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1965.

- **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب لأبي بكر الحازمي**: الطبعة الأولى منشورات اللغــة العربيــة بمصر ـ طبــع بمطابع الهيئــة العامــة لشؤون المطــابع الأميرية 1384/1965. الطبعة الثانية لنفس الناشرين 1393/1973.

- **الأربعين الطبيــة المستخرجة مــن سنن إبن ماجــة وشرحها للعلامــة عبد اللطيف البغدادي**: الطبعــة الأولى من مخطــوطــات أصلية بــالخزانــة الكنونيــة بطنجة، المطبعة المهــدية بتطوان 1370/1951. الطبعة الثانية معهــد المخطوطات العــربية، فصلــة من مجلــة المعهد مــاي 1972. الطبعة الثــالثة، وزارة الأوقــاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة المحمدية.

- **رسائل سعدية**: منشورات معهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان ــ دار الطباعة المغربية بتطوان 1373/1954.

- **التيسير في صناعة التسفير لأبي بكر الإشبيلي**: منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمدريد 1960.

ــ **أخبار الصغار للحافظ محمد بن مخلد الدوري العراقي**: منشورات أكاديمية المملكة المغربية 1986.

* * * *

هـ ـ كتب منشورة بدون تحقيق:

- **قواعد الإسلام للقاضي عياض**: نشر على مخطوط أصلي بالخزانة الكنونية بطنجة، المطبعة المهدية بتطوان 1373/1953.

- **تلقين الوليد الصغير لعبد الحق الإشبيلي**: نشر على مخطوط أصلي بالخزانة الكنونية بطنجة ـ المطبعة المهدية 1373/1952.

ــ **شرح الشيخ ميارة على لامية أبي المجراد**: دار الطباعة المغربية بتطوان 1374/1954.

ــ **رسالة نصرة القبض في الصلاة للعلامة محمد المسناوي**: نشر على مخطوطة أصلية بالخزانة الكنونية بطنجة.

- **الأنوار السنية في الألفاظ السنية لابن جزي**: نشر على مخطوطة أصلية بالخزانة الكنونية، المطبعة المهدية بتطوان 1368/1949.

- **ترتيب أحاديث الشهاب للعلامة الخزرجي**: نشر على مخطوطة أصلية بالخزانة الكنونية بطنجة ـ المطبعة المهدية بتطوان 1369/1950.

- **كشف الشبهات للعلامة محمد بن سليمان الورعي**: المطبعة المهدية بتطوان 1363/1944.

- **شرح العلامة البوري على منظومة ابن كيران في الاستعارة.**

* * * *

و ـ كتب أخرى للمؤلف لم تطبع بعد:

ـ **شخصيات مغربية** (تضم حوالي 150 شخصية للتعريف بها في مختلف فنون المعرفة).

ـ **صنوان وغير صنوان** (ديوان يضم مساجلات شعرية بين المؤلف وشخصيات أدبية من المغرب والمشرق).

ـ **نوادر وملح أدبية** (كتبه سنة 1359/1940).

ـ **مذكرات غير شخصية** (عرض تاريخي واجتماعي وسياسي لما مر بالمؤلف أو شارك فيه من أحداث ومواقف).

الفهرست

- نص الرسالة الملكية التي وجهها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
إلى الفقيد عبد الله كَنون 5
مقدمة 9

اتحاد كتاب المغرب يكرم عبد الله كَنون (21 فبراير 1968)
- عبد الله كَنون في رحاب دار الفكر
أبو بكر المريني – الرباط 25
- عبد الله كَنون من خلال ديوانه «لوحات شعرية»
علي الصقلي – الرباط 33
- عبد الله كَنون علم في المغرب وعلم في المشرق
بهاء الدين الأميري – الرباط 41
- نكرم السابق من أبنائنا (شعر)
أبو بكر اللمتوني – الرباط 41

«ندوة تمارة» تكرم عبد الله كَنون (21 يناير 1979)
- حفلة تكريمية للعلامة عبد الله كَنون
الحاج أحمد معنينو – سلا 45
- ندوة عن الأستاذ عبد الله كَنون
جريدة الميثاق 56
- تكريم الأستاذ المجمعي عبد الله كَنون
مجلة دراسات فلسفية وأدبية 57
- عبد الله كَنون المثقف
عبد الكريم غلاب – الرباط 59
- عبد الله كَنون الأديب والعالم
مصطفى بن أحمد العلوي – الرباط 65
- كَنون شاعراً وأديباً
علي الصقلي – الرباط 70
- عبد الله كَنون الإنسان
عبد الله الكامل الكتاني – الرباط 76
- غباوة السلطات الاستعمارية
إبراهيم الكتاني – الرباط 82

– عبد الله كَنون سفيرنا إلى المشرق قبل أن تفتح لنا سفارات
عبد الهادي التازي – الرباط 84
– تحية وامــق (شعر)
علي الصقلي – الرباط 87
العالم العربي يؤبن عبد الله كَنون (9 يوليوز 1989)
– شهادات حول الفقيد عبد الله كَنون
محمد عزيز الحبابي – تمارة 91
– فانتثر الدمع بيننا
عبد العزيز بن عبد الله – الرباط 101
– جولة في فكر عبد الله كَنون
أحمد مهابة – القاهرة 103
– عبد الله كَنون ونبوغه المبكر
عدنان الخطيب – دمشق 110
– ابيات في رثاء الزميل الفاضل المرحوم الأستاذ عبد الله كَنون
حسين علي محفوظ – بغداد 120
– ربع قرن مع أستاذي وصديقي عبد الله كَنون
يوسف الكتاني – سلا 122
– كان كَنون وسيظل أحد أعلام هذه الأمة الرائعة
علي فهمي خشيم – طرابلس 129
– رحيل العلامة عبد الله كَنون مجدد التراث والأصالة
أبو القاسم كرو – تونس 132
– تعزية في أستاذ الجيل المرحوم سيدي عبد الله كَنون (شعر)
عبد الكريم الوزاني – فاس 138
– عبد الله كَنون معين لا ينضب عطاؤه
محمد مصطفى الريسوني – طنجة 143
– لائحة المؤلفات والكتب المحققة والمنشورة للأستاذ المرحوم سيدي عبد الله كَنون
عبد الصمد العشاب – طنجة 145
الفهرست 153

الفقيه العلامة عبد الله كَنون

- من مواليد مدينة فاس سنة 1912.
- انتقل، ولـما يتجاوز السادسة من عمره، صحبة والده إلى مدينة طنجة حيث استوطن وأسرته، هناك تلقى فنون العلم والمعرفة، ومارس الكفاح الفكري والوطني.
- وافاه الأجل الـمحتوم سنة 1989، بعد أن قضى حياة حافلة بالعطاءات الفكرية والمشاركات العلمية:
  - رئيس رابطة علماء الـمغرب،
  - عضو أكاديمية الـمملكة الـمغربية،
  - عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة،
  - عضو الـمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.
- برع يراعه في مجالات متنوعة، تناولت:
  - دراسات وتراجم أدبية وتاريخية مغربية وأندلسية،
  - دراسات إسلامية،
  - تحقيق نصوص لغوية وإسلامية،
  - الـمقالة الأدبية والشعر،
  - قضايا سياسية وطنية وعربية وإسلامية.

الـمشاركون

أبو بكر الـمريني
أبو بكر اللمتوني
أبو القاسم كرو
أحمد مهابة
إبراهيم الكتاني
بهاء الدين الأميري
الحاج أحمد معنينو
حسين علي محفوظ
عبد الكريم غلاب
عبد الكريم الوزاني
عبد الهادي التازي
عبد العزيز بن عبد الله
عبد الله الكامل الكتاني
عبد الصمد العشاب
عدنان الخطيب
علي الصقلي
علي فهمي خشيم
محمد عزيز الحبابي
محمد مصطفى الريسوني
مصطفى بن أحمد العلوي
يوسف الكتاني